مختصر
كتاب
الحث على
طلب العلم
والاجتهاد في جمعه
لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن
سعيد بن يحيى بن مهران العسكري
(المتوفى: نحو 395هـ)
الفقة
الحديث
التفسير
اللغة
العقيدة
تأليف
أبو عمير علاء بن عبدالرحمن أمين

مختصر كتاب
الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه

لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ).

اختصره وعلق عليه
علاء بن عبد الرحمن أمين

الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه (١)

الاجْتِهَادُ فِيمَا يُكْسِبُ الْعِزَّ وَيَزِيدُ فِي النَّبَاهَةِ وَالْقَدْرِ، رَاحَةُ الْعَاقِلِ، وَالتَّوَانِي عَنْهُ عَادَةُ الْجَاهِلِ.

وَرُتْبَةُ الأَدِيبِ (٢) مِنْ أَعْلَى الرُّتَبِ، وَدَرَجَةُ الْعِلْمِ أَشْرَفُ الدَّرَجِ (٣)، فَمَنْ أَرَادَ مُدَاوَلَتَهَا بِالدَّعَةِ (٤) وَطَلَبَ الْبُلُوغَ إِلَيْهَا بِالرَّاحَةِ كَانَ مَخْدُوعًا.

---

(١) مختصر من كتاب " الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه " المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ). المحقق: د. مروان قباني. الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت.

(٢) رَجُلٌ أَدِيبٌ، مِن قَوْمٍ أُدَبَاءَ، والأَدَبُ تَنْزِيهُ النَّفْسِ عَمَّا يَعيبُها. [التلخيص في معرفة أسماء الأشياء (ص: ٩٦)]

قال عبد الملك بن مروان: "اطلبوا معيشة لا يقدرُ سلطانٌ جائرٌ على أخذها وغصبها، فقيل: ما هي؟ قال: الأدب" [درر الحكم لأبي منصور الثعالبي (ص: ٥٤)]

(٣) قال الله تعالى: { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} [المجادلة: ١١]

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» [صحيح البخاري (ح ٧١)]

(٤) **الدَّعَةُ**: الخفض في العيش والرّاحة. [العين (٢/ ٢٢٣) ، تهذيب اللغة (٣/ ٨٧)]

وفي لسان العرب (١/ ٢٠٦) **الأَدَبُ**: الَّذِي يَتَأَدَّبُ بِهِ الأَديبُ مِنَ النَّاسِ؛ سُمِّيَ أَدَباً لأَنه يَأْدِبُ الناسَ إِلَى المَحامِد، ويَنْهاهم عَنِ المقابِح. **والأَدَبُ**: أَدَبُ النَّفْسِ والدَّرْسِ. **والأَدَبُ**: الظَّرْفُ وحُسْنُ التَّناوُلِ.

وَقَالَ الْجَاحِظُ [٥]: "الْعِلمُ عَزِيزُ الْجَانِبِ، لَا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتَّى تُعْطِيهِ كُلَّكَ، وَأَنْتَ إِذَا أَعْطَيْتَهُ كُلَّكَ كُنْتَ مِنْ إِعْطَائِهِ إِيَّاكَ الْبَعْضَ عَلَى خَطَرٍ" [٦]

فَإِذا كُنْتَ أَيُّهَا الأَخُ تَرْغَبُ فِي سُمُوِّ الْقَدْرِ وَنَبَاهَةِ الذِّكْرِ وَارْتِفَاعِ الْمَنْزِلَةِ بَيْنَ الْخَلْقِ، وَتَلْتَمِسُ عِزًّا لَا تَثْلِمُهُ [٧] اللَّيَالِي وَالأَيَّامُ وَلا تَتَحَيَّفُهُ [٨] الدُّهُورُ وَالأَعْوَامُ، وَهَيْبَةً بِغَيْرِ سُـــلْطَانٍ، وَغِنًى بِلا مَال، ومنعة بِغَيْرِ سِـــلَاحٍ، وَعَلاءً مِنْ غَيْرِ عَشِـــيرَةٍ، وَأَعْوَانًا بِغَيْرِ أَجْرٍ،

---

(٥) عمرو بْن بحر بْن محبوب، أَبُو عثمان الجاحظ المصنف الحسن الكلام، البديع التصانيف.

كان من أهل البصرة، وأحد شيوخ المعتزلة، وقدم بغداد، فأقام بها مدة، وقد أسند عنه أَبُو بَكْر بْن أبي داود الحديث. [تاريخ بغداد ت بشار (١٤/ ١٢٤)]

(٦) **أخرجه الخطيب البغدادي بسنده إلى المبرد قَالَ**: حَدَّثَنِي عمرو بْن بحر الجاحظ، قَالَ: سمعت النظام، يقول: "العلم شيء لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، فإذا أعطيته كلك فأَنْتَ من إعطائه لَكَ البعض عَلَى خطر" [تاريخ بغداد" ت بشار (٦/ ٦٢٣)]

وأخرجه من طريق أخر: بسنده إلى علي بْن الجعد قَالَ: "سمعتُ قاضي القضاة، يعني: أَبَا يوسف، يَقُولُ: العلمُ شيء لا يُعطيك بعضه حتى تُعطيه كُلَّك، وأنت إذا أعطيته كُلَّك من إعطائه البعض عَلَى غَرَرٍ" [تاريخ بغداد (١٦/ ٣٦٧)]

وروى كمال الدين ابن العديم بسنده إلى أبي القاسم الخضر بن عبد الله البالسي قال: قال لنا القاضي أبو القاسم بن برية الرقي بحلب ونحن ندرس عليه الفرائض والحساب وغير ذلك: "العلم أشد المعشوقين دلالا، لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك، وأنت اذا أعطيته كلك على غرر من اعطائه لك البعض." [بغية الطلب فى تاريخ حلب (٧/ ٣٣١٧)]

(٧) **قال الجوهري**: الثُلْمَةُ: الخلل في الحائط وغيره. [الصحاح تاج اللغة (٥/ ١٨٨١)]

وقال ابن فارس: **الثلمة**: الخلل في الشيء. [مجمل اللغة لابن فارس (ص: ١٦١)]

(٨) تحيفه: تنقصه من حيفه أى نواحيه.

وَجُنْدًا بِلا دِيوَانٍ وَفَرْضٍ، فَعَلَيْكَ بِالْعِلْمِ [٩]، فَاطْلُبْهُ فِي مَظَانِّهِ، تَأْتِكَ الْمَنَافِعُ عَفْوًا، وَتَلْقَ مَا يعْتَمد مِنْهَا صَفْوًا، وَاجْتَهِدْ فِي

---

(٩) **قال الإمام الشاطبي**: "في العِلْم بالأشياء لذَّة لا تُوازيها لذَّة". [كتاب الموافقات (١/ ٦٧)]

وأنشد أبو إسحاق الألبيري قصيدة عظيمة لولده يحضه على طلب العلم والجد فيه والتزود والنهل منه، فمما قال:

أبا بكر دعوتك لو أجبتا *** إلى ما فيه حظك لو عقلتا

إلى علم تكون به إماما *** مطاعاً إن نهيت وإن أمرتا

ويجلو ما بعينك من غشاها *** ويهديك الطرق إذا ضللتا

وتحمل منه في ناديك تاجا ***ويكسوك الجمال إذا عريتا

إلى أن قال:

فلو قد ذقت من حلواه طعما * * * لآثرت التعلم واجتهدتا

ولم يشغلك عنه هوى مطاعٌ * * * ولا دنيا بزخرفها فُتنتا

ولا ألهاك عنه أنيق روضٍ * * * ولا خدر بزينتها كلفتا

فقوت الروح أرواح المعاني ** وليس بأن طعمت ولا شربتا

وقال الإمام ابنُ الجوزيّ: "والله ما أعرف مَن عاش رفيعَ القَدْر بالِغًا من اللَّذات ما لَم يبلُغْ غيرُه، إلاَّ العلماء المُخلصين؛ كالحسَن وسفيان، والعُبَّاد المُحقِّقين كمعروف؛ فإنَّ لذة العلم تزيد على كلِّ لذة". [صيد الخاطر (ص: ٣٠٠)]

وقال شيخ الإسلام أبن تيمية: "ولا ريب أن لذة العلم أعظم اللذات" [مجموع الفتاوى: (١٤ /١٦٢)].

وقال سهل بن عبد الله التستري: " العلم أحد لذات الدنيا، فإذا عمل به صار للآخرة " [اقتضاء العلم العمل: ٢٩].

وقال الإمام ابن القيّم: " وأمّا عُشَّاق العلم فأعظم شغفًا به وعِشقًا له من كلِّ عاشقٍ بمعشوقه، وكثيرٌ منهم لا يشغله عنه أجمل صورة من البشر ". [روضة المحبين (ص: ٦٩) دار الكتب العلمية]

وقال: " ولو صور العلم صورة لكانت أجمل من صورة الشمس والقمر ". [روضة المحبين (ص: ٢٠١)]

وقال الخليفة المأمون: "لا نُزْهَةَ ألذُّ مِنَ النَّظَرِ فِي عُقُولِ الرِّجَالِ". [سير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٢٨٣)]

تَحْصِـــيلِهِ لَيَالِيَ قَلائِلَ، ثُمَّ تَذَوَّقْ حَلاوَةَ الْكَرَامَةِ مُدَّةَ عُمْرِكَ [١٠]، وَتَمَتَّعْ بِلَذَّةِ الشَّـرَفِ فِيهِ بَقِيَّةَ أَيَّامِكَ، وَاسْـتَبْقِ لِنَفْسِـكَ الذِّكْرَ بِهِ بَعْدَ وَفَاتِكَ.

وَإِذَا تَدَبَّرْتَ قَوْلَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيّ ﷺ : "قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يُحْسِـــنُهُ" [١١]، كُنْتَ حَقِيقًا بِالِاجْتِهَادِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ أَوَانَ قُدْرَتِكَ عَلَيْهِ، غَيْرَ مَعْذُورٍ فِي التَّوَانِي عَنهُ، وَالتَّقْصِـــير فِيهِ، لِأَنَّ الْعَاقِلَ لَا يَعْتَمِدُ تَخْسِيسَ قِيمَتَهُ، وَلَا يَغْفُلُ عَمَّا يَرْفَعُ مِنْ قَدْرِهِ. [١٢]

---

(١٠) مما أنشده الإمام الشافعي -رحمه الله تعالى- في حلاوة العلم:

سَهَرِي لِتَنْقِيحِ العُلُومِ أَلَذُّ لي ... مِنْ وَصْلِ غَانِيةٍ وَطيبِ عِنَاقِ

وصريرُ أقلامي على صفحاتها ... أحلى من الدَّوْكاءِ والعُشَّاقِ

وَأَلَذُّ مِنْ نَقْرِ الفتاة لِدُفِّهَا ... نقري لألقي الرَّملَ عن أوراقي

وتمايلي طرباً لحلِّ عويصةٍ ... في الدَّرْسِ أَشْهَى مِنْ مُدَامَةِ سَاقِ

وأبيتُ سهرانَ الدُّجى وتبيتهُ ... نَوْماً وَتَبْغي بَعْدَ ذَاكَ لِحَاقِي؟

(١١) تاريخ بغداد ت بشار (٦/ ١٧٨)

(١٢) **قال أبو عبد الرحمن السلمي**: " وَمِنَ الفُتُوَّةِ أَنْ يَكُونَ العَبْدُ شَرِيفَ الهِمَّةِ فِي أَمْرِ دِينِهِ وَدُنْيَاهُ. سَمِعْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ الرَّازِيَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ جَعْفَرَ بْنَ مُحَمَّدٍ الخَوَّاصَّ يَقُولُ: سَمِعْتُ الجُنَيْدَ رَحِمَهُ اللهُ يَقُولُ: قِيمَةُ كُلِّ امْرِئٍ هِمَّتُهُ، فَمَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ الدُّنْيَا فَقِيمَتُهُ لَا شَيْءَ، وَمَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ الآخِرَةَ فَقِيمَتُهُ جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَمَنْ كَانَتْ هِمَّتُهُ رِضَا اللهِ تَعَالَى فَلَا قِيمَةَ لَهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِينَ غَيْرُ الرِّضْوَانِ. قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللهِ أَكْبَرُ﴾. قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الشِّيرَازِيُّ: قُلْتُ لِأَبِي بَكْرٍ الطَّمَسْتَانِيِّ رَحِمَهُ اللهُ وَقْتَ مُفَارَقَتِهِ: أَوْصِنِي. فَقَالَ: الهِمَّةَ الهِمَّةَ ". [الفتوة للسلمي (ص: ٦٩)]

وقال ابن المرزبان في كتاب المروءة: قَالَ الْحَسَنُ بْنُ أَبِي السحن الزُّهْرِيُّ: "عِزُّ الشَّرِيفِ أَدَبُهُ وَعِزُّ الدَّنِيءِ وَرَعُهُ، وَعِزُّ أَوْ زِينَةُ الْفَقِيرِ تَوَرُّعُهُ وَقُنُوعُهُ، وَزِينَةُ الْغَنِيِّ تَوَاضُعُهُ وَمُرُونَةُ خُلُقِهِ".

وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْمَعْرُوفِ وَالْأَدَبِ: "مَا بَلَغَ مِنْ شَهْوَتِكَ للْعلم، وحرصك عَلَيّ الادب وحلاوتهما فِي صدرك، وفضلها عِنْدَكَ، وَعَظِيمِ شَأْنِهِمَا لَدَيْكَ؟ قَالَ: هُمَا لِدَتِي إِذَا نَشَطْتُ وَأُنْسِي، وَإِذَا أُغْمِمْتُ فَفَرَحِي وَسَلْوَتِي".

وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ ﷺ لبنية: "يَا بني، إِنَّكُمُ الْيَوْمَ صِغَارُ قَوْمٍ يُوشِكُ أَنْ تَكُونُوا كِبَارًا، فَعَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، فَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ مِنْكُمْ عَلَى حِفْظِهِ فَلْيَكْتُبْهُ، فَأَقْبِحْ بِشَيْخٍ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ".

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعَرَاءِ، وَيُقَالُ لِابْنِ الْمُبَارَكِ -رَحِمَهُ اللَّهُ -

تَعَلَّمْ فَلَيْسَ الْمَرْءُ يُولَدُ عَالِمًا ... وَلَيْسَ أَخُو عِلْمٍ كَمَنْ هُوَ جَاهِلُ

وَإِنَّ كَبِيرَ الْقَوْمِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُ ... صَغِيرٌ، إِذَا الْتَفَّتْ عَلَيْهِ الْمَحَافِلُ. ا.هـ

[انتهي من كتاب المروءة (ص: ٩١)] دار ابن حزم، بيروت]

قال الإمام المرداوي في منظومته البديعة (الألفية في الآداب الشرعية)

فَكَابِدْ إِلَى أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا ... وَكُنْ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ طَلَّاعَ أَنْجُدِ

وَلَا تُذْهِبَنَّ الْعُمْرَ مِنْك سَبَهْلَلًا ... وَلَا تُغْبَنَن فِي النِّعْمَتَيْنِ بَلْ اجْهَدْ

فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَّاتِ نَالَ الْمُنَى وَمَنْ ... أَكَبَّ عَلَى اللَّذَّاتِ عَضَّ عَلَى الْيَدِ

وَفِي قَمْعِ أَهْوَاءِ النُّفُوسِ اعْتِزَازُهَا ... وَفِي نَيْلِهَا مَا تَشْتَهِي ذُلُّ سَرْمَدُ

فَلَا تَشْتَغِلْ إِلَّا بِمَا يُكْسِبُ الْعُلَا ... وَلَا تَرْضَ لِلنَّفْسِ النَّفِيسَةِ بِالرَّدِي

(فَكَابِدْ) أَيْ فَاطْلُبْ وَجِدَّ وَاجْتَهِدْ وَقَاسِ الشَّدَائِدَ (إِلَى) أَنْ تَنْتَهِيَ إِلَى أَقْصَى الْحَالَاتِ وَهِيَ (أَنْ تَبْلُغَ النَّفْسُ) فِي الْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ (عُذْرَهَا) فَإِنْ حَصَّلْتَ عِلْمًا كَانَ هُوَ الْمَقْصُودُ. وَإِلَّا عُذِرْت فِي بَذْلِ الْمَجْهُودِ.

(وَكُنْ فِي اقْتِبَاسِ الْعِلْمِ) أَيْ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَاسْتِفَادَتِهِ (طَلَّاعُ) أَيْ قَصَّادُ (أَنْجُدِ) أَيْ وَكُنْ مُجَرِّبًا لِلْأُمُورِ وَقَاهِرًا لَهَا وَمُحْكِمًا مَعْرِفَتَهَا بِدِقَّةِ النَّظَرِ وَحُسْنِ التَّجَارِبِ وَإِتْقَانِ مَا تَقْبِسُهُ مِنْ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ، كَثِيرَ الرِّحْلَةِ فِي تَحْصِيلِ الْعُلُومِ، عَالِيَ الْهِمَّةِ فِي التَّطَلُّعِ عَلَى دَقَائِقِهَا وَإِتْقَانِ حَقَائِقِهَا.

وَمِمَّا يُنْسَبُ لِلْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -:

سَأَطْلُبُ عِلْمًا أَوْ أَمُوتُ بِبَلْدَةٍ ... يَقِلُّ بِهَا هَطْلُ الدُّمُوعِ عَلَى قَبْرِي

وَلَيْسَ اكْتِسَابُ الْعِلْمِ يَا نَفْسُ فَاعْلَمِي ... بِمِيرَاثِ آبَاءٍ كِرَامٍ وَلَا صِهْرِ

وَلَكِنَّ فَتَى الْفِتْيَانِ مَنْ رَاحَ وَاغْتَدَى ... لِيَطْلُبَ عِلْمًا بِالتَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ

فَإِنْ نَالَ عِلْمًا عَاشَ فِي النَّاسِ مَاجِدًا ... وَإِنْ مَاتَ قَالَ النَّاسُ بَالَغَ فِي الْعُذْرِ

إِذَا هَجَعَ النُّوَّامُ أَسْبَلْت عَبْرَتِي ... وَأَنْشَدْت بَيْتًا وَهُوَ مِنْ أَلْطَفِ الشِّعْرِ

أَلَيْسَ مِنْ الْخُسْرَانِ أَنَّ لَيَالِيًا ... تَمُرُّ بِلَا عِلْمٍ وَتُحْسَبُ مِنْ عُمْرِي

وَذَكَرَ الْإِمَامُ الْمُحَقِّقُ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ قَوْلَ بَعْضِ السَّلَفِ: " إِذَا أَتَى عَلَيَّ يَوْمٌ لَا أَزْدَادُ فِيهِ عِلْمًا يُقَرِّبُنِي إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَلَا بُورِكَ لِي فِي طُلُوعِ شَمْسِ ذَلِكَ الْيَوْمِ " .

وَفِي مِثْلِهِ قَالَ الْقَائِلُ:

إِذَا مَرَّ بِي يَوْمٌ وَلَمْ أَسْتَفِدْ هُدًى ... وَلَمْ أَكْتَسِبْ عِلْمًا فَمَا ذَاكَ مِنْ عُمْرِي

(وَلَا تُذْهِبَنَّ الْعُمْرَ) أَيْ لَا تُذْهِبْ عُمْرَكَ النَّفِيسَ الَّذِي لَا قِيمَةَ لَهُ وَلَا خَطَرَ، وَلَا يُعَادِلُهُ جَوْهَرٌ وَلَا نَضْرٌ، وَلَا دُرٌّ وَلَا مَرْجَانٌ وَلَا لُؤْلُؤٌ وَلَا عِقْيَانٌ (مِنْك) أَيُّهَا الْإِنْسَانُ، الْمَخْلُوقُ لِعِبَادَةِ الرَّحْمَنِ وَمُجَاوَرَتِهِ فِي الْجِنَانِ، (سَبَهْلَلًا) أَيْ غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِذَهَابِهِ لَا فِي عَمَلِ دُنْيَا وَلَا آخِرَةٍ.

(وَلَا تُغْبَنَن) إِيَّاكَ وَالتَّمَادِي فِي الْكَسَلِ وَاتِّبَاعِ هَوَى النَّفْسِ فَتُغْبَنَ (فِي الْنِّعْمَتَيْنِ) الصحة والفراغ (بَلْ اجْهَدْ) فِي فِكَاكِهَا وَخَلَاصِهَا مِنْ قُيُودِ الْأَقْفَاصِ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي تَبْصِرَتِهِ: الْإِنْسَانُ أَسِيرٌ فِي الدُّنْيَا يَسْعَى فِي فِكَاكِ نَفْسِهِ، لَا يَأْمَنُ شَيْئًا حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، يَعْلَمُ أَنَّهُ مَأْخُوذٌ عَلَيْهِ فِي سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَفِي لِسَانِهِ وَفِي جَوَارِحِهِ كُلِّهَا.

تَجَهَّزِي بِجِهَازٍ تَبْلُغِينَ بِهِ ... يَا نَفْسُ قَبْلَ الرَّدَى لَمْ تُخْلَقِي عَبَثَا

وَسَابِقِي بَغْتَةَ الْآجَالِ وَانْكَمِشِي ... قَبْلَ اللِّزَامِ فَلَا مَلْجَا وَلَا غَوْثَا

وَلَا تَكَدِّي لِمَنْ يَبْقَى وَتَفْتَقِرِي ... إِنَّ الرَّدَى وَارِثُ الْبَاقِي وَمَا وُرِثَا

وَاخْشَيْ حَوَادِثَ صَرْفِ الدَّهْرِ فِي مَهَلٍ ... وَاسْتَيْقِظِي لَا تَكُونِي كَالَّذِي بَحَثَا

عَنْ مُدْيَةٍ كَانَ فِيهَا قَطْعُ مُدَّتِهِ ... فَوَافَتْ الْحَرْثَ مَحْرُوثًا كَمَا حَرَثَا

مَنْ كَانَ حِينَ تُصِيبُ الشَّمْسُ جَبْهَتَهُ ... أَوْ الْغُبَارُ يَخَافُ الشَّيْنَ وَالشَّعِثَا

وَيَأْلَفُ الظِّلَّ كَيْ تَبْقَى بَشَاشَتُهُ ... فَسَوْفَ يَسْكُنُ يَوْمًا رَاغِمًا جَدَثَا

فِي قَعْرِ مُوحِشَةٍ غَبْرَاءَ مُقْفِرَةٍ ... يُطِيلُ تَحْتَ الثَّرَى فِي جَوْفِهَا اللُّبَثَا

(فَمَنْ هَجَرَ اللَّذَّاتِ) أَيْ صَرَمَهَا وَلَمْ يَلْوِ إِلَيْهَا عِنَانَهُ، وَلَمْ يَشْغَلْ بِهَا جَنَانَهُ، وَلَا لَطَّخَ بِهَا لِسَانَهُ، وَلَا نَافَسَ فِي اكْتِسَابِهَا، وَلَمْ يَنْكَبَّ عَلَى انْتِهَابِهَا. بَلْ رَفَضَهَا وَثَنَى عَنْهَا الْعِنَانَ، وَلَهَا شَنَى، وَمَالَ عَنْهَا وَانْحَنَى (نَالَ) أَيْ أَصَابَ (الْمُنَى) أَيْ مُنَاهُ بِمَعْنَى تَمْنِيَتَهُ يَعْنِي مَا يَتَمَنَّاهُ وَيَطْلُبُهُ مِنْ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فِي دَارِ الْخُلْدِ وَالتَّكْرِيمِ، وَمِنْ تَحْصِيلِ الْعُلُومِ وَالْمَعَارِفِ وَالْأَخْبَارِ وَالْآثَارِ، الْوَارِدَةِ عَنْ النَّبِيِّ الْمُخْتَارِ، وَالصَّحَابَةِ الْأَخْيَارِ، وَالتَّابِعِينَ الْأَطْهَارِ، وَالْأَئِمَّةِ الْأَبْرَارِ. كُلُّ هَذَا إِنَّمَا يَحْصُلُ بِهَجْرِ اللَّذَّاتِ وَرَفْضِ الشَّهَوَاتِ.

(وَمَنْ) أَيْ كُلُّ إِنْسَانٍ (أَكَبَّ) أَيْ أَقْبَلَ (عَلَى اللَّذَّاتِ) الْمُحَرَّمَةِ، وَكَذَا الْمُبَاحَةِ الْمُشْغِلَةِ عَنْ الْعُلُومِ يَنْحُوهَا، وَانْهَمَكَ فِي الشَّهَوَاتِ الْمُلْهِيَةِ عَنْ نَيْلِ الْكَمَالَاتِ (عَضَّ) بِأَسْنَانِهِ (عَلَى الْيَدِ) تَأَسُّفًا عَلَى مَا فَرَّطَ فِي أَيَّامِهِ، وَتَلَهُّفًا عَلَى مَا تَثَبَّطَ فِي دُهُورِهِ وَأَعْوَامِهِ، فَهُوَ مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْله تَعَالَى {وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى

وَأَخَذَ أَبُو الْحَسَنِ الْعلوِيّ كَلَامَ عَلِيّ ﷺ فَقَالَ:

فَيَا لَائِمِي دَعْنِي أُغَالِي بِقِيمَتِي ... فَقِيمَةُ كُلِّ النَّاسِ مَا يُحْسِنُونَ

وَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو هِلالٍ الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْعَسْكَرِيّ الأَدِيب:

مَا مَرَّ بِي يَوْمٌ وَلَا لَيْلَة ... دُونَ ثَنَاءٍ حَسَنٍ أَغْنَمُه

وَلَيْسَ لِي فِي لَيْلَتِي رَقْدَة ... مِنْ دُونِ عِلْمٍ نَافِعٍ أُحْكِمُه

أَزِيدُ فِي عِلْمِي وَفِي قِيمَتِي ... وَقِيمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يُعَلَّمُه

يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا (٢٧) يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا} [الفرقان: ٢٧ - ٢٨] .

(وَفِي قَمْعِ) أَيْ صَرْفِ (أَهْوَاءِ) جَمْعُ هَوًى، وَهُوَ مَيْلُ (النُّفُوسِ) إِلَى الشَّيْءِ (اعْتِزَازُهَا) أَيْ قُوَّتُهَا وَمَنْعَتُهَا مِنْ الشَّيْطَانِ وَجُنُودِهِ وَعَدَمُ ذُلِّهَا، فَلَمَّا قَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ بِمُقْمَعَةِ الْمُتَابَعَةِ وَضَرَبَهَا بِسِيَاطِ الِاقْتِدَاءِ، وَصَرَفَهَا بِزِمَامِ التَّقْوَى، حَصَلَ لَهَا الْعِزُّ وَالِامْتِنَاعُ، وَالْقُوَّةُ وَالِارْتِفَاعُ، بِحُسْنِ الِاتِّبَاعِ، وَمُخَالَفَةِ الِابْتِدَاعِ. (وَفِي نَيْلِهَا) أَيْ النُّفُوسِ (مَا) أَيْ الَّذِي (تَشْتَهِي) أَيْ تَشْتَهِيه وَتَطْلُبُهُ وَتَهْوَاهُ مِنْ الْمُحَرَّمَاتِ وَنَحْوِهَا (ذُلٌّ سَرْمَدُ) أَيْ طَوِيلٌ مُسْتَمِرٌّ.

(فَلَا تَشْتَغِلْ) بِشَيْءٍ مِنْ الْأَشْغَالِ (إلَّا بِمَا) أَيْ بِشُغْلٍ (يُكْسِبُ الْعُلَا) مِنْ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ وَمَعَالِي الْأُمُورِ وَمَفَاخِرِ الرُّتَبِ (وَلَا تَرْضَ لِلنَّفْسِ النَّفِيسَةِ) الْمَرْغُوبِ فِيهَا لَا عَنْهَا (بِ) الْفِعْلِ (الرَّدِي) أَيْ الْمُرْدِي لَهَا أَوْ الْفِعْلِ الَّذِي يُؤَدِّيهَا إلَى الرَّدِي وَالْهَلَاكِ، فَإِنَّ هَذَا لَا يَفْعَلُهُ صَدِيقٌ بِصَدِيقِهِ وَلَا رَفِيقٌ بِرَفِيقِهِ، وَالنَّفْسُ عِنْدَك وَدِيعَةٌ أُودِعْتَهَا، وَحَفِيظَةٌ اُسْتُحْفِظْتَهَا، فَلَا تَذْهَبْ بِهَا إلَى الْهَلَكَاتِ، وَلَا تُلْقِهَا فِي مَهَاوِي التَّلَفَاتِ، وَإِذَا كُنْت لَا تَنْصَحُ نَفْسَك الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْك، وَتُرَاقِبُ فِيهَا الرَّبَّ الْمُهَيْمِنَ عَلَيْك، فَيَا طُولَ دَمَارِك، وَيَا أَسَفِي عَلَيْك. فَمَنْ لَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ، كَيْفَ يَنْصَحُ لِأَبْنَاءِ جِنْسِهِ، مِنْ وَالِدَيْهِ وَوَلَدِهِ وَحَوَاشِيهِ وَعُرْسِهِ. [**انتهى مختصرا من غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب للسفاريني** (٢/ ٤٤٤)]

وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاء: [١٣] "يَجِبُ لِلْمُتَعَلِّمِ أَنْ يَعْرِفَ فَضْلَ مَا بَيْنَ طَلَبِ الْعِلْمِ لِلْمُنَاسَبَةِ وَالشَّهْوَةِ، وَبَيْنَ طَلَبِهِ لِلرَّغْبَةِ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ الْعِلْمَ لَا يَجُودُ بِمَكْنُونِهِ، وَلَا يَسْمَحُ بِسِرِّهِ وَمَخْزُونِهِ، إِلَّا لِمَنْ رَغِبَ فِيهِ لِكَرَمِ عُنْصُرِهِ، وَفَضْلِ جَوْهَرِهِ، وَرَفَعَهُ عَنِ التَّكَسُّبِ، وَصَانَهُ عَنِ التَّبَذُّلِ، وَأَنَّهُ لَا يُعْطِيهِ خَالِصَ فَائِدَتِهِ حَتَّى يُعْطِيَهُ خَالِصَ مَحَبَّتِهِ". [١٤]

فَقَدْ قَالُوا: "مَا شَابَ مَنْ شِيبَ لَهُ". [١٥]

وَقَدْ قِيلَ: "لَا يُنَالُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ". [١٦]

---

(١٣) عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ.

(١٤) الرسائل للجاحظ (٣/ ١٠٥) ت: عبد السلام هارون. مكتبة الخانجي، القاهرة.

(١٥) أي أنه لا يبلغ الإنسان مرتبة العلم وقمم المعالي والمجد إلا إذا تعب، وتحمل المشاق، وكابد السهر والطلب، فكل شيبة تظهر عليه هي دليلٌ على عناء وجهد بذله في تحصيل.

أخرج الدارمي في السنن (ح ٦٠٢) قَالَ: أَخْبَرَنَا شِهَابُ بْنُ عَبَّادٍ، حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ، عَنْ أُمَيٍّ الْمُرَادِيِّ، قَالَ: قَالَ عَلِيٌّ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ «تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ، فَإِذَا عَلِمْتُمُوهُ، فَاكْظِمُوا عليْهِ، وَلَا تَشُوبُوهُ بِضَحِكٍ، وَلَا بِلَعِبٍ فَتَمُجَّهُ الْقُلُوبُ». [إسناده صحيح]

(١٦) **أخرجه مسلم** [١٧٥ - (٦١٢)] من قول يَحْيَى بْنِ أَبِي كَثِيرٍ: «لَا يُسْتَطَاعُ الْعِلْمُ بِرَاحَةِ الْجِسْمِ».

وعن الإمام عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (صاحب كتاب الجرح والتعديل) قال : " كُنَّا بِمِصْرَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، فَلَمْ نَأْكُلْ فِيهَا مَرَقَةً، وَذَلِكَ أَنَّا كُنَّا نَغْدُو بِالْغَدَوَاتِ إِلَى مَجْلِسِ بَعْضِ الشُّيُوخِ، وَوَقْتِ الظُّهْرِ إِلَى مَجْلِسٍ آخَرَ، وَوَقْتِ الْعَصْرِ إِلَى مَجْلِسٍ آخَرَ، ثُمَّ بِاللَّيْلِ لِلنَّسْخِ وَالْمُعَارَضَةِ، فَلَمْ نَتَفَرَّغْ نُصْلِحَ شَيْئًا، وَكَانَ مَعِي رَفِيقٌ خُرَاسَانِيٌّ أَسْمَعُ فِي كِتَابِهِ وَيَسْمَعُ فِي كِتَابِي، فَمَا أَكْتُبُ لَا يَكْتُبُ، وَمَا يَكْتُبُ لَا أَكْتُبُ، فَغَدَوْنَا يَوْمًا إِلَى مَجْلِسِ بَعْضِ الشُّيُوخِ فَقَالَ: هوّنْ عَلَيْكَ فَرَجَعْنَا فَرَأَيْنَا فِي طَرِيقِنَا حُوتًا يَكُونُ بِمِصْرَ، يُشَقُّ جَوْفُهُ فَيَخْرُجُ أَصْفَرُ، فَأَعْجِبْنَاهُ فَلَمَّا صِرْنَا إِلَى الْمَنْزِلِ حَضَرَ وَقْتُ مَجْلِسِ بَعْضِ الشُّيُوخِ فَلَمْ يُمْكِنَّا

وَقَالَ بعض الْأَوَائِل: "لَا يتم الْعلم إِلَّا بِسِتَّة أَشْيَاء: ذهن ثاقب، وزمان طَوِيل، وكفاية، وَعمل كثير، ومعلم حاذق، وشهوة، وَكلما نقص من هَذِه السِّتَّة شَيْء، نقص بمقداره من الْعلم". (١٧)

إِصْلَاحَهُ، وَمَضَيْنَا إِلَى الْمَجْلِسِ، فَلَمْ نَزَلْ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ كَادَ أَنْ يَتَغَيَّرُ، فَأَكَلْنَاهُ نِيًّا، فَقِيلَ لَهُ: كُنْتُمْ تُعْطُونَ لِمَنْ يَشْوِيهِ وَيُصْلِحُهُ، قَالَ: مِنْ أَيْنَ كَانَ لَنَا الْفَرَاغُ." [**تاريخ دمشق لابن عساكر** (٣٥/ ٣٦١)]

أنشد أبو محمد الدّيباجيّ:

(لَا يدْرك الْحِكْمَة من دهرة ... يكدح فِي مصلحَة الْأَهْل)

(وَلَا ينَال الْعلم إِلَّا امْرُؤ ... خَال من الْأَعْرَاض والشغل)

(لَو أَن لُقْمَان الْحَكِيم الَّذِي ... سَارَتْ لَهُ الْأَمْثَال بِالْفَضْلِ)

(يبْلى بفقر وعيال لما ... فرق بَين الثور والبغل)

(فَلَا تلومن أَخا فاقة ... وعيلة أَن كَانَ ذَا جهل)

[**التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار** (٤/ ٢٢٠) **دار الفكر للطباعة - لبنان**]

(١٧) **قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد** (١٦/ ٤٤) : قرأت على عبد الوهاب بن علي الأمين، عن عَبْد الخالق بْن أَحْمَد بْن عَبْد القادر ابن محمد بن يوسف قال: أنشدنا أبو الحسن العبدري قال أنشدني أبو المعالي الجويني لنفسه:

أخي لن تنال العلم إلا بستة ... سأنبئك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص وافتقار وغربة ... وتلقين أستاذ وطول زمان

وجاء في كتاب "المستطرف في كل فن مستطرف" للأبشيهي (ص: ٣٠) للإمام الشافعي رحمه الله:

أخي لن تنال العلم إلّا بستّة ... سأنبيك عن تفصيلها ببيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة ... وصحبة أستاذ وطول زمان

وجاء في الدر الثمين في أسماء المصنفين (ص: ١١٥) في ترجمة "محمد بن عليّ بن إسماعيل، المعروف بالمبرمان، أبو بكر النّحويّ العسكري" أنه كان يقول: "لا يحصل العلم إلاّ بستة أشياء: زمان، وأستاذ، وجدّ، وشهوة، وقريحة جيّدة، وفراغ".

وَذَكَرَ (ثُقُوبَ الذِّهْنِ) لِأَنَّهُ عِلَّةُ الْقَبُولِ وَسَبَبُ الْفَهْمِ، وَالْبَلَادَةُ تُنَافِي ذَلِكَ الْفَهْمَ وَالْقَبُولَ، وَالْبَلِيدُ لَا يَنْفَعُهُ طُولُ التَّعْلِيمِ، كَالصَّخْرِ لَا يَنْبُتُ فِيهِ بِدَوَامِ الْمَطَرِ.

قَالَ الشَّيْخ أَبُو هِلَال العسكري: " فَإِذَا كَانَ الْعِلْمُ مُؤْنِسًا فِي الْوَحْدَةِ، وَوَطَنًا فِي الْغُرْبَةِ، وَشَرَفًا لِلْوَضِيعِ، وَقُوَّةً لِلضَّعِيفِ، وَيَسَارًا لِلْمُقْتِرِ، وَنَبَاهَةً لِلْمَغْمُورِ حَتَّى يُلْحِقَهُ بِالْمَشْهُورِ الْمَذْكُورِ، كَانَ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُؤْثَرَ عَلَى أَنْفَسِ الْأَعْلَاقِ [١٨]، وَيُقَدَّمَ عَلَى أَكْرَمِ الْعَقْدِ، وَمِنْ حَقِّ مَنْ يَعْرِفُهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الْتِمَاسِهِ لِيَفُوزَ بِفَضِيلَتِهِ ".

مَنْ لَمْ تَكُنِ اسْتِفَادَةُ الْأَدَبِ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْأَهْلِ وَالْمَالِ لَمْ يَنْجُبْ.

وَمَنْ عَرَفَ الْعِلْمَ وَفَضْلَهُ، لَمْ يَقْضِ نَهْمَتَهُ مِنْهُ، وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ جَمْعِهِ طُولَ عُمُرِهِ.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: " لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا تَعَلَّمَ، فَإِذَا تَرَكَ كَانَ أَجْهَلَ مَا يَكُونُ" [١٩]

---

(١٨) الأعلاق: جمع علق «بكسر العين» : النفيس من الشئ.

(١٩) **أخرجه الصوري في الفوائد**: عَنْ يُونُسَ بْنِ أَبِي شَبِيبٍ قَالَ: سَمِعْتُ سَعِيدَ بْنَ جُبَيْرٍ يَقُولُ: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ عَالِمًا مَا تَعَلَّمَ، فَإِذَا تَرَكَ الْعِلْمَ وَظَنَّ أَنَّهُ قَدِ اسْتَغْنَى وَاكْتَفَى بِمَا عِنْدَهُ، كَانَ أَجْهَلَ مَا يَكُونُ»

وَقِيلَ لابْنِ الْمُبَارَكِ [٢٠]: "إِلَى كَمْ تَكْتُبُ الْحَدِيثَ؟ فَقَالَ: لَعَلَّ الْكَلِمَةَ الَّتِي أَنْتَفِعُ بِهَا لَمْ أَسْمَعْهَا بَعْدُ" [٢١]

[الفوائد المنتقاة والغرائب الحسان عن الشيوخ الكوفيين للصوري (ص: ٧١ – رقم ٢٩)]

وقال ابن جماعة في "تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم" (ص: ١٧):

"لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَسْتَفِيدَ مَا لَا يَعْلَمُهُ مِمَّنْ هُوَ دُونَهُ، بَلْ يَكُونُ حَرِيصًا عَلَى الْفَائِدَةِ حَيْثُ كَانَتْ، وَالْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ يَلْتَقِطُهَا حَيْثُ وَجَدَهَا. وَكَانَ جَمَاعَةٌ مِنَ السَّلَفِ يَسْتَفِيدُونَ مِنْ طَلَبَتِهِمْ مَا لَيْسَ عِنْدَهُمْ. قَالَ الحميدي - وَهُوَ تِلْمِيذُ مُحَمَّدُ بْن إِدْرِيس الشَّافِعِيّ -: «صَحِبْتُ مُحَمَّدُ بْن إِدْرِيسَ الشَّافِعِيّ مِنْ مَكَّةَ إِلَى مِصْرَ، فَكُنْتُ أَسْتَفِيدُ مِنَ الْمَسَائِلِ، وَكَانَ يَسْتَفِيدُ مِنِّي الْحَدِيثَ». وَصَحَّ رِوَايَةُ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ عَنِ التَّابِعِينَ".

وأنْشد الإمام الشَّافِعِي:

لَمِحْبَرَةٌ تُجَالِسُنِي نَهَارِي ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أُنْسِ الصَّدِيقِ

وَرُزْمَةُ كَاغِدٍ فِي الْبَيْتِ عِنْدِي ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَدْلِ دَقِيقِ

وَلَطْمَةُ عَالِمٍ فِي الْخَدِّ مِنِّي ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ شُرْبِ الرَّحِيقِ

[نشر طي التعريف في فضل حملة العلم الشريف (ص: ٢١٤) دار المنهاج - جدة]

(٢٠) قال الذهبي في السير: " عَبْدُ اللهِ بنُ المُبَارَكِ بنِ وَاضِحٍ الحَنْظَلِيُّ، الإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، عَالِمُ زَمَانِهِ، وَأَمِيْرُ الأَتْقِيَاءِ فِي وَقْتِهِ،أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ الحَنْظَلِيُّ مَوْلاَهُم، التُّرْكِيُّ، ثُمَّ المَرْوَزِيُّ، الحَافِظُ، الغَازِي، أَحَدُ الأَعْلاَمِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ خُوَارِزْمِيَّةٌ. مَوْلِدُهُ: فِي سَنَةِ ثَمَانِ عَشْرَةَ وَمائَةٍ. فَطَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ ابْنُ عِشْرِيْنَ سَنَةً". [سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٨/ ٣٧٩)]

(٢١) شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادي (ص: ٦٨) دار إحياء السنة النبوية – أنقرة. تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٠٨)

وقَالَ: الْحَسَنَ بْنَ مَنْصُورٍ الْجَصَّاصُ، لِأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ: " إِلَى مَتَى يَكْتُبُ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ؟ قَالَ: «حَتَّى يَمُوتَ» [شرف أصحاب الحديث للخطيب (ص: ٦٨)]

وَقَالَ **سُفْيَانُ** (٢٢): "مَنْ تَرَأَّسَ سَرِيعًا أَضَرَّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَمَنْ لَمْ يَتَرَأَّسْ طَلَبَ وَطُلِبَ حَتَّى يَبْلُغَ" (٢٣)

وَقَالَ **الشَّعْبِيُّ** (٢٤): "رَحَلَ مَسْرُوقٌ فِي آيَةٍ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَسَأَلَ عَنِ الَّذِي يُفَسِّرُهَا. فَأُخْبِرَ أَنَّهُ بِالشَّامِ، فَتَجَهَّزَ إِلَى الشَّامِ حَتَّى سَأَلَ عَنْهَا" (٢٥)

وَقَالَ: "مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَطْلَبَ لِلْعِلْمِ فِي الآفَاقِ مِنْ مَسْرُوقٍ" (٢٦)

---

(٢٢) قال الذهبي في السير: " سُفْيَانُ بنُ سَعِيْدِ بنِ مَسْرُوْقٍ الثَّوْرِيُّ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، إِمَامُ الحُفَّاظِ، سَيِّدُ العُلَمَاءِ العَامِلِيْنَ فِي زَمَانِهِ، أَبُو عَبْدِ اللهِ الثَّوْرِيُّ، الكُوْفِيُّ، المُجْتَهِدُ، مُصَنِّفُ كِتَابِ (الجَامِعِ) .

وُلِدَ: سَنَةَ سَبْعٍ وَتِسْعِيْنَ اتِّفَاقاً، وَطَلَبَ العِلْمَ وَهُوَ حَدَثٌ بِاعتنَاءِ وَالِدِه المُحَدِّثِ الصَّادِقِ سَعِيْدِ بنِ مَسْرُوْقٍ الثَّوْرِيِّ، وَكَانَ وَالِدُهُ مِنْ أَصْحَابِ الشَّعْبِيِّ، وَخَيْثَمَةَ بنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، وَمِنْ ثِقَاتِ الكُوْفِيِّيْنَ، وَعِدَادُهُ فِي صِغَارِ التَّابِعِيْنَ. رَوَى لَهُ: الجَمَاعَةُ السِّتَّةُ فِي دَوَاوِيْنِهِم. [سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٧/ ٢٣٠)]

(٢٣) سنن الدارمي ت حسين سليم أسد (١/ ٤٦٠ – رقم ٥٧٣) دار المغني – السعودية. قال محققه: إسناده ضعيف لضعف محمد بن حميد.

(٢٤) عَامِرُ بنُ شَرَاحِيْلَ بن عَبْدِ بنِ ذِي كِبَارٍ، الإِمَامُ، عَلاَّمَةُ العَصْرِ، أَبُو عَمْرٍو الهَمْدَانِيُّ، ثُمَّ الشَّعْبِيُّ.

(٢٥) التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (٣/ ١١١ – رقم ٤٠٤٠) الفاروق الحديثة للطباعة – القاهرة.

(٢٦) التاريخ الكبير لابن أبي خيثمة (٣/ ١١١ – رقم ٤٠٤٣)

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ [٢٧] : " إِنْ كُنْتُ لَأَسِيرُ اللَّيَالِيَ وَالْأَيَّامَ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ الْوَاحِدِ " [٢٨]

وَقَالَ أربدة التَّمِيمِي: "مَا سَمِعْتُ بِأَرْضٍ فِيهَا عِلْمٌ إِلا أَتَيْتُهَا"[٢٩]

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ يَحْيَى: "لَقَدْ طَلَبْتُ الْعِلْمَ بِالْمَدِينَةِ، حَتَّى ظَنَّ الْغَرِيبُ إِذَا دَخَلَهَا أَنِّي بِهَا غَرِيبٌ، لِشِـــدَّةِ طَلَبِي وَحِرْصِـــي عَلَى الْعِلْمِ". [٣٠]

---

(٢٧) قال الذهبي: "سَعِيْدُ بنُ المُسَيِّب بنِ حَزْنٍ القُرَشِيُّ المَخْزُوْمِيُّ، الإِمَامُ، العَلَمُ، أَبُو مُحَمَّدٍ القُرَشِيُّ، المَخْزُوْمِيُّ، عَالِمُ أَهْلِ المَدِيْنَةِ، وَسَيِّدُ التَّابِعِيْنَ فِي زَمَانِهِ. وُلِدَ: لِسَنَتَيْنِ مَضَتَا مِنْ خِلاَفَةِ عُمَرَ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-. وَقِيْلَ: لأَرْبَعٍ مَضَيْنَ مِنْهَا، بِالمَدِيْنَةِ". [سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٤/ ٢١٨)]

(٢٨) المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (ص: ٢٧٧) دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت. جامع بيان العلم وفضله (١/ ٣٩٥ – رقم٥٦٩) دار ابن الجوزي – السعودية. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٢٦ – رقم ١٦٨٨) مكتبة المعارف – الرياض.

(٢٩) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي (٢/ ٣١٠) مؤسسة الرسالة – بيروت.

(٣٠) تَزْخَرُ سِيرَةُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ بِقِصَصٍ مُلْهِمَةٍ مُمَاثِلَةٍ لِحَالِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ يَحْيَى فِي شِدَّةِ الِانْشِغَالِ بِالْعِلْمِ وَالِانْدِمَاجِ التَّامِّ فِي التَّحْصِيلِ، حَتَّى تَذُوبَ الْمَظَاهِرُ الشَّخْصِيَّةُ وَالِاجْتِمَاعِيَّةُ لِطَالِبِ الْعِلْمِ.

قَالَ: أَبُو عُمَر مُحَمَّد بْن عَبْد الْوَاحِد اللُّغَوِيّ: سَمِعْتُ ثَعْلَبًا يَقُولُ: " مَا فَقَدْتُ إِبْرَاهِيمَ الْحَرْبِيَّ مِنْ مَجْلِسِ لُغَةٍ أَوْ نَحْوٍ خَمْسِينَ سَنَةً! قَالَ أَبُو عُمَرَ: وَسَمِعْتُ ثَعْلَبًا يَقُولُ ذَلِكَ مِرَارًا ". [تاريخ بغداد (٦/ ٥٢٢)]

* **وَقَالَ السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:** «مَنْ عَرَفَ مَا يَطْلُبُ هَانَ عَلَيْهِ مَا يَبْذُلُ». [صفة الصفوة ٢/ ٦٣٠].

* **وَقَالَ الْقَعْنَبِيّ:** سَمِعْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، يَقُولُ: «كَانَ الرَّجُلُ يَخْتَلِفُ إِلَى الرَّجُلِ ثَلَاثِينَ سَنَةً يَتَعَلَّمُ مِنْهُ». [**حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (٦/ ٣٢٠)]

* **وَعَنْ محمد بن يوسف قَالَ:** «كُنْتُ عِنْدَ محمد بن إسماعيل البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ فِي مَنْزِلِهِ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَأَحْصَيْتُ أَنَّهُ قَدْ قَامَ وَأَسْرَجَ يَسْتَذْكِرُ أَشْيَاءَ يُعَلِّقُهَا فِي لَيْلَةٍ ثَمَانِي عَشْرَةَ مَرَّةً». [المنتظم ١٢/ ١١٥، ١١٦].

وَقَالَ ابْنُ سِـــيرِينَ: "قَدِمْتُ الْكُوفَةَ فَوَجَدْتُ بِهَا أَرْبَعَةَ آلافِ شَابٍّ يَطْلُبُونَ الْحَدِيثَ".

قَالَ: "وَمَا زَالَ قَتَادَة متعلما حَتَّى مَاتَ". (٣١)

قَالَ الشَّـيْخُ أَبُو هِلالٍ الْعَسْـكَرِي: وَكَانَ بَعْضُ الشُّـيُوخ يحب تَقْدِيم شَـــاب يَجْلِسُ إِلَيْهِ، فَيَتَأَخَّرُ وَيَغِيبُ، فَقَالَ لَهُ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حُمَيْدِ بْنِ كُرْدُوسٍ قَالَ: سَمِعْتُ يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ يَقُولُ: مَنْ غَابَ خَابَ، وَأَكَلَ نَصِـيبَهُ الأَصْـحَابُ. (٣٢)

---

* وَقَالَ أَبُو حَاتِم الرَّازِيّ رَحِمَهُ اللَّهُ لِابْنِهِ عَبْدِ الرَّحْمَن بْن أَبِي حَاتِم: «يَا بُنَيَّ، مَشَيْتُ عَلَى قَدَمَيَّ فِي طَلَبِ الْحَدِيثِ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ فَرْسَخٍ». [البداية والنهاية]

* وَعَنْ عِيسَى الْمُتَوَكِّلِي رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «مَكَثْتُ ثَلَاثِينَ سَنَةً أَشْتَهِي أَنْ أُشَارِكَ الْعَامَّةَ فِي أَكْلِ هَرِيسَةِ السُّوقِ فَلَا أَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، لِأَجْلِ الْبُكُورِ إِلَى سَمَاعِ الْحَدِيثِ». [المنتظم ١٤/ ٢٣٣].

(٣١) أخرجه ابن الجعد بسنده عن مطر الوراق قال: «مَا زَالَ قَتَادَةَ مُتَعَلِّمًا حَتَّى مَاتَ». [مسند ابن الجعد (رقم (١٠٤٢) مؤسسة نادر - بيروت]

وأخرجه أبو نعيم في الحلية بسنده عَنْ مَطَر قَالَ: «كَانَ قَتَادَةُ عَبْدَ الْعِلْمِ، وَمَا زَالَ قَتَادَةُ مُتَعَلِّمًا حَتَّى مَاتَ» [حلية الأولياء (٢/ ٣٣٥)]

(٣٢) روى الخطيب في الجامع قال: أَخْبَرَنِي عَلِيُّ بْنُ حَمْزَةَ الْبَصْرِيُّ، بِهَا، نا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَلَّادٍ الْأَهْوَازِيُّ، بِهَا، نا أَحْمَدُ يَعْنِي ابْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْأَنْصَارِيَّ، نا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ هَارُونَ الْحَمَّالِ، قَالَ: سَمِعْتُ يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ، يَقُولُ لِرَجُلٍ مِنْ وَلَدِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ وَفَاتَهُ الْمَجْلِسُ فَسَأَلَهُ أَنْ يُحَدِّثَ، بِهِ فَقَالَ لَهُ يَا أَبَا فُلَانٍ: «أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ مَنْ غَابَ خَابَ وَأَكَلَ نَصِيبَهُ الْأَصْحَابُ» [الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ١٣٧ – رقم ١٤٢٤)]

وَأَنْشَدَ الشَّيْخُ أَبُو هِلالٍ قَائِلًا:

(مَنْ كَانَ عَنْكَ مَغِيبًا ... أَسْلاكَ عَنْهُ مَغِيبُهُ)

(وَإِذَا تَطَاوَلَ هَجْرُهُ ... نُسِيَ اللِّقَاءُ وَطِيبُهُ)

(أَوَ مَا سَمِعْتَ مَقَالَهُمْ ... مَنْ غَابَ غَابَ نَصِيبُهُ)

وَقَالَ ابْن عَبَّاس: "ذَلَلْتُ طَالِبًا فَعَزَزْتُ مَطْلُوبًا". (٣٣)

وقال الخطيب: أَخْبَرَنِي هِلَالُ بْنُ مُحَمَّدٍ الْحَفَّارُ، أنا عُمَرُ بْنُ أَحْمَدَ الْمَرْوَرُّوذِيُّ، نا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ وُهَيْبٍ الدِّمَشْقِيُّ، قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ أَبِي الْخَنَاجِرِ، وَقِيلَ لَهُ: أَعِدْ عَلَيْنَا مِنْ أَوَّلِ الْمَجْلِسِ أَحَادِيثَ فَقَالَ: سَمِعْتُ يَزِيدَ بْنَ هَارُونَ يَقُولُ لِأَصْحَابِهِ: «مَنْ غَابَ خَابَ وَأَكَلَ نَصِيبَهُ الْأَصْحَابُ» وَقَدْ كَانَ خَلْقٌ مِنْ طَلَبَةِ الْعِلْمِ بِالْبَصْرَةِ فِي زَمَنِ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِيِّ يَأْخُذُونَ مَوَاضِعَهُمْ فِي مَجْلِسِهِ فِي لَيْلَةِ الْإِمْلَاءِ وَيَبِيتُونَ هُنَاكَ حِرْصًا عَلَى السَّمَاعِ وَتَخَوُّفًا مِنَ الْفَوَاتِ [الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ١٣٧- ١٤٢٥)]

وروى عبد الكريم السمعاني في أدب الإملاء قال: سَمِعْتُ الرَّئِيسَ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ هِبَةَ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ السَّلامِ الْكَاتِبَ بِبَغْدَادَ يَقُولُ حَضَرْتُ عِنْدَ الشَّيْخِ الزَّاهِدِ أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ بْنِ الْمُسْلِمَةِ فِي جَامِعِ الْقَصْرِ فَوَجَدْتُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ يَقْرَأُ عَلَيْهِ جُزْءً مِنَ الْحَدِيثِ وَقَدْ فَاتَنِي مِنْهُ أَحَادِيثُ فَبَعْدَ فَرَاغِ القارىء مِنَ الْجُزْءِ قُلْتُ لَهُ أَعِدْ لِي مَا فَاتَنِي فَقَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَلِيّ بن الْمسلمَة رضه سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ عَلِيَّ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ عُمَرَ بْنِ حَفْصٍ الحمامي المقرىء رَحِمَهُ اللَّهُ يَقُولُ كُنْتُ عِنْدَ أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ النقاش المقرىء وَجَاءَهُ رَجُلٌ وَقَدْ فَاتَهُ بَعْضُ الْجُزْءِ فَأَرَادَ إِعَادَتَهُ فَسَمِعْتُ النَّقَّاشَ يَقُولُ سَمِعْتُ إِدْرِيسَ بْنَ عَبْدِ الْكَرِيمِ الْحَدَّادَ يَقُولُ سَمِعْتُ هَارُونَ بْنَ مَعْرُوفٍ يَقُولُ سَمِعْتُ زَيْدَ بْنَ هَارُونَ يَقُولُ سَمِعْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ يَقُولُ مَنْ غَابَ خَابَ وَأَكَلَ نَصِيبَهُ الأَصْحَابُ وَلَمْ يَعُدْ لَهُ حَدِيثًا يَعْنِي النَّقَّاشَ. [أدب الإملاء والاستملاء (ص: ٨٠) دار الكتب العلمية - بيروت]

(٣٣) المجالسة وجواهر العلم للدينوري [ج٤/ ص ٤٣٩- رقم ١٦٣٥)] ، جامع بيان العلم وفضله (ج١/ ص٤٧٤ - رقم ٧٥٦)]

وأورد ابن عساكر في تاريخه جملة من الآثار عن ابن عباس في طلب العلم فمن ذلك:

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ حَرْمَلَةَ [٣٤] : "قَدْ شَجَّنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ فِي الْعِلْمِ مَرَّتَيْنِ".

وَقَالَ الأَعْمَشُ [٣٥] : "الْحِبْرُ فِي ثِيَابِ صَاحِبِ الْحَدِيثِ أَحْسَنُ مِنَ الْخَلُوقِ فِي ثِيَابِ الْعَرُوسِ". [٣٦]

قال ابن عباس ﷺ : طلبت العلم فلم أجده أكثر منه في الأنصار، فكنت آتي الرجل فأسأل عنه فيقال لي: نائم، فأتوسد ردائي ثم أضطجع حتى يخرج إليّ الظهر فيقول: متى كنت هاهنا يابن عم رسول الله ﷺ فأقول: منذ زمن طويل فيقول: بئس ما صنعت، هلا أعلمتني؟ فأقول: أردت أن تخرج إلي وقد قضيت حاجتك. وعن طاوس قال: قال ابن عباس ﷺ : إن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ . وقيل لابن عباس ﷺ : كيف أصبت هذا العلم؟ قال: بلسان سؤول، وقلب عقول . [تاريخ دمشق لابن عساكر (ج ٧٣ / ص ١٨٤، ١٨٤) دار الفكر]

وكان ﷺ يقول: وجدتُ عامّة عِلْم رسول الله ﷺ عند هذا الحيّ من الأنصار، إنْ كنتُ لأَقِيل بباب احدهم ولو شئتُ أُذِن لي، ولكن أبتغي بذلك طِيب نفسه. [عيون الأخبار (ج ٢/ ص ٥١٩، ٥٢٠)].

(٣٤) عبد الرحمن بن حرملة بن عمرو بن سنة ، الأسلمى ، أبو حرملة المدنى.

قال المزي في التهذيب: قال يحيى بْن مَعِين، عن يَحْيَى بْن سَعِيد، عن عَبْد الرحمن بْن حرملة: كنت سيئ الحفظ، أو قال: كنت لا أحفظ، فرخص لي سَعِيد بْن المُسَيَّب فِي الكتابة. وَقَال علي ابْن الْمَدِينِيّ، عَنْ يحيى بْن سَعِيد: مُحَمَّد بْن عَمْرو أحب إلي من ابن حرملة، وكان ابن حرملة يلقن، ولو شئت أن ألقنه أشياء، يعني لفعلت. قال علي: فراددت يحيى فِي ابن حرملة، فقال: ليس هو عندي مثل يحيى بْن سَعِيد الأَنْصارِيّ. وَقَال أَبُو بَكْر بْن خلاد الباهلي: سَمِعْتُ يحيى، يعني: ابن سَعِيد - وسئل عَنِ ابن حرملة: فضعفه، ولم يدفعه. وَعَن يحيى بْن مَعِين: صالح. وَقَال أبو حاتم يكتب حديثه، ولا يحتج به. وَقَال النَّسَائي: ليس به بأس. [تهذيب الكمال في أسماء الرجال (١٧/ ٦٠)]

(٣٥) الإِمَامُ، شَيْخُ الإِسْلاَمِ، شَيْخُ المُقْرِئِيْنَ وَالمُحَدِّثِيْنَ، أَبُو مُحَمَّدٍ سُلَيْمَانُ بنُ مِهْرَانَ الأَسَدِيُّ، الكَاهِلِيُّ مَوْلاَهُم، الكُوْفِيُّ، الحَافِظُ. [سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٦/ ٢٢٦)]

(٣٦) **قَالَ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ بْنِ بُرْدٍ**: سَمِعْتُ أَبِي أَحْمَدَ بْنِ الْوَلِيدِ يَقُولُ: «الْحِبْرُ فِي الثَّوْبِ عَلَى أَصْحَابِ الْحَدِيثِ، مِثْلُ الْخَلُوقُ عَلَى الْعَرُوسِ» [معجم ابن المقرئ (ص: ٦٧ – رقم ١١٩)]

وَعَنْ **أَبِي صَالِحٍ مَحْبُوبُ بْنُ مُوسَى الْفَرَّاءُ قَالَ**: سَمِعْتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ يَقُولُ: «الْحِبْرُ فِي الثِّيَابِ، خُلُوقُ الْعُلَمَاءِ» [الجامع لأخلاق الراوي للخطيب (١/ ٢٥١ رقم ٥٠٩) ، تاريخ دمشق لابن عساكر (٣٢/ ٤٤٢) ، معجم ابن المقرئ (ص: ١٨٥ – رقم ٥٦٧)]

وَعَنِ **أَبِي الْوَلِيدِ بْنَ بُرْدٍ قَالَ**: سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ: «مَثَلُ الْحِبْرِ وَالْمِدَادِ فِي ثَوْبِ الرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ مَثَلُ الْقِلَادَةِ فِي عُنُقِ الْجَارِيَةِ» [الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٥١ رقم ٥٠٧)]

وَقَالَ **عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ**: حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: "رَآنِي الشَّافِعِيُّ وَأَنَا فِي مَجْلِسِهِ وَعَلَى قَمِيصِي حِبْرٌ، وَأَنَا أُخْفِيهِ، فَقَالَ: «يَا فَتَى لِمَ تُخْفِيهِ وَتَسْتُرُهُ؟ إِنَّ الْحِبْرَ عَلَى الثَّوْبِ مِنَ الْمُرُوءَةِ؛ لِأَنَّ صُورَتَهُ فِي الْأَبْصَارِ سَوَادٌ وَفِي الْبَصَائِرِ بَيَاضٌ» [الجامع لأخلاق الراوي (١/ ٢٥١ رقم ٥٠٨)]

وَعَنْ **يُوسُف بْنَ سَعِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ قَالَ**: سَمِعْتُ الْعُمَرِيَّ، يَعْنِي خَالِدَ بْنَ يَزِيدَ، يَقُولُ: «الْحِبْرُ فِي ثَوْبِ صَاحِبِ الْحَدِيثِ مِثْلُ الْخَلُوقِ فِي ثَوْبِ الْعَرُوسِ» [الجامع لأخلاق للخطيب (١/ ٢٥١ – رقم ٥١٠)]

وَعَنْ **صَالِحِ بْنِ يَحْيَى الْعَدَوِيِّ**، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: «أَثَرُ الْحِبْرِ فِي ثَوْبِ صَاحِبِ الْحَدِيثِ أَحْسَنُ مِنَ الْخَلُوقِ فِي ثَوْبِ الْعَرُوسِ». [تاريخ دمشق لابن عساكر (٦٤/ ٢٣١)]

وَقَالَ ابْنُ شِهَابٍ [٣٧]: "مَا اسْتَوْدَعْتُ قَلْبِي شَيْئًا قَطُّ فَنَسِيتُهُ" [٣٨]

وَحَسْبُكَ بِهَذَا عِنَايَةً وَتَوَفُّرًا.

---

(٣٧) مُحَمَّدُ بنُ مُسْلِمِ بنِ عُبَيْدِ اللهِ ابْنِ عَبْدِ اللهِ بنِ شِهَابِ بنِ عَبْدِ اللهِ بنِ الحَارِثِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلاَبِ بنِ مُرَّةَ بنِ كَعْبِ بنِ لُؤَيِّ بنِ غَالِبٍ، الإِمَامُ، العَلَمُ، حَافِظُ زَمَانِه، أَبُو بَكْرٍ القُرَشِيُّ، الزُّهْرِيُّ، المَدَنِيُّ، نَزِيلُ الشَّامِ.

رَوَى مَعْمَرٌ: عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: "مَسَّتْ رُكبَتِي رُكبَةَ سَعِيْدِ بنِ المُسَيِّبِ ثَمَانِيَ سِنِيْنَ".

وَعَنْ مَالِكٍ، عَنِ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: "كُنْتُ أَخدُمُ عُبَيْدَ اللهِ بنَ عَبْدِ اللهِ، حَتَّى إِنْ كُنْتُ أَسْتَقِي لَهُ المَاءَ المَالِحَ، وَكَانَ يَقُوْلُ لِجَارِيَتِه: مَنْ بِالبَابِ؟ فَتَقُوْلُ: غُلاَمُك الأَعْمَشُ".

وَرَوَى إِبْرَاهِيْمُ بنُ سَعْدٍ، عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ: " مَا سَبَقَنَا ابْنُ شِهَابٍ مِنَ العِلْمِ بِشَيْءٍ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يَشُدُّ ثَوْبَه عَنْ صَدْرِه، وَيَسْأَلُ عَمَّا يُرِيْدُ، وَكُنَّا تَمْنَعُنَا الحَدَاثَةُ ".

وَعَنِ ابْنُ أَبِي الزِّنَادِ: عَنْ أَبِيْهِ، قَالَ: " كُنَّا نَكْتُبُ الحَلاَلَ وَالحَرَامَ، وَكَانَ ابْنُ شِهَابٍ يَكْتُبُ كُلَّمَا سَمِعَ، فَلَمَّا احْتِيجَ إِلَيْهِ، عَلِمتُ أَنَّهُ أَعْلَمُ النَّاسِ، وَبَصُرَ عَيْنِي بِهِ وَمَعَهُ أَلوَاحٌ أَوْ صُحُفٌ، يَكْتُبُ فِيْهَا الحَدِيْثَ، وَهُوَ يَتَعَلَّمُ يَوْمَئِذٍ".

وَعَنْ أَبِي الزِّنَادِ، قَالَ: " كُنْتُ أَطُوْفُ أَنَا وَالزُّهْرِيُّ، وَمَعَهُ الأَلوَاحُ وَالصُّحُفُ، فَكُنَّا نَضحَكُ بِهِ ".

[سير أعلام النبلاء ط الرسالة (٥/ ٣٢٦)]

(٣٨) الآثار المروية في الأطعمة السرية لابن بشكوال (ص: ١٠٥ – رقم ٥). والكامل في ضعفاء الرجال (١/ ١٣٨) الكتب العلمية – بيروت.

قَالَ الخطيب البغدادي: أَخْبَرَنَا محمد بن علي بن مخلد الوراق، قَالَ: أَخْبَرَنَا أحمد بن محمد بن عمران، قَالَ: حَدَّثَنَا أحمد بن كامل، قَالَ: قَالَ عبد الله بن طاهر لِإسحاق بن راهويه: قِيلَ لِي: إِنَّكَ تَحْفَظُ مِائَةَ أَلْفِ حَدِيثٍ؟ قَالَ: «مِائَةُ أَلْفِ حَدِيثٍ مَا أَدْرِي مَا هُوَ، وَلَكِنِّي مَا سَمِعْتُ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا حَفِظْتُهُ، وَلَا حَفِظْتُ شَيْئًا قَطُّ فَنَسِيتُهُ». [**تاريخ بغداد** (٧/ ٣٦٢)، **تاريخ دمشق** (٨/ ١٣٨)، **تهذيب الكمال** (٢/ ٣٨٥)]

وَقَالَ مالك بن أنس: «كَانَ مُحَمَّدُ بْنُ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ الزُّهْرِيّ إِذَا جَلَسَ يُحَدِّثُ ثَلَاثِينَ حَدِيثًا، فَحَدَّثَ يَوْمًا وَعَقَدْتُ حَدِيثَهُ، فَأُنْسِيتُ مِنْهَا حَدِيثًا، فَلَقِيتُهُ فَسَأَلْتُهُ عَنْهُ، فَقَالَ: أَلَمْ تَكُنْ فِي الْمَجْلِسِ؟ قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: فَمَالَكَ لَمْ تَحْفَظْ؟ قُلْتُ: ثَلَاثُونَ، إِنَّمَا ذَهَبَ عَنِّي وَاحِدٌ. فَقَالَ: لَقَدْ ذَهَبَ حِفْظُ النَّاسِ، مَا اسْتَوْدَعْتُ قَلْبِي شَيْئًا قَطُّ فَنَسِيتُهُ. هَاتِ مَا عِنْدَكَ. فَسَأَلْتُهُ فَأَنْبَأَنِي، فَانْصَرَفْتُ». [ترتيب المدارك وتقريب المسالك (١/ ١٣٥) مطبعة فضالة - المغرب]

وَكَانَ أَبُو سَهْلٍ الصُّعْلُوكِيُّ [٣٩]: "إِذَا دَخَلَ الْحَمَّامَ سَمِعْتُ لَهُ هَمْهَمَةً مِنَ الدَّرْسِ وَالْقِرَاءَةِ، وَيَقُولُ: "كَانَ يُقَالُ الْعِلْمُ مَا دَخَلَ مَعَكَ الْحَمَّامَ". [٤٠]

---

(٣٩) الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، ذُو الفُنُوْنِ، أَبُو سَهْلٍ مُحَمَّدُ بنُ سُلَيْمَانَ بنِ مُحَمَّدِ بنِ سُلَيْمَانَ بنِ هَارُوْنَ الحَنَفِيُّ العِجْلِيُّ الصُّعْلُوْكِيُّ النَّيْسَابُوْرِيُّ، الفَقِيْهُ الشَّافِعِيُّ، المُتَكَلِّمُ، النَّحْوِيُّ، المفسِّرُ، اللُّغَوِيُّ، الصُّوْفِيُّ، شَيْخُ خُرَاسَانَ. الشَّافِعِيُّ، المُتَكَلِّمُ، النَّحْوِيُّ، المفسِّرُ، اللُّغَوِيُّ، الصُّوْفِيُّ، شَيْخُ خُرَاسَانَ.

قَالَ الحَاكِمُ: هُوَ حَبْرُ زَمَانِهِ، وَبَقِيَّةُ أَقْرَانِهِ، وُلِدَ سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِيْنَ وَمائَتَيْنِ، وَأَوَّلُ سمَاعِهِ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلاَثِ مائَةٍ وَاختلَفَ إِلَى ابْنِ خُزَيْمَةَ، ثُمَّ اختلَفَ إِلَى أَبِي عَلِيٍّ مُحَمَّدِ بنِ عَبْدِ الوَهَّابِ الثَّقَفِيِّ، وَنَاظَرَ وَبَرَعَ، ثُمَّ اسْتُدْعِيَ إِلَى أَصْبَهَانَ، فَلَمَّا بَلَغَهُ نَعْيُ عَمِّهِ أَبِي الطَّيِّبِ الصُّعْلُوْكِيِّ، خَرَجَ فِي الخِفْيَةِ حَتَّى قَدِمَ نَيْسَابُوْرَ فِي سَنَةِ سَبْعٍ وَثَلاَثِيْنَ، ثُمَّ نَقَلَ أَهْلَهُ مِنْ أَصْبَهَانَ.

أَفْتَى وَدرَّسَ بِنَيْسَابُوْرَ نَيِّفاً وَثَلاَثِيْنَ سَنَةً.

سَمِعَ: إِمَامَ الأَئِمَّةِ ابنَ خُزَيْمَةَ، وَأَبَا العَبَّاسِ السَّرَّاجِ، وَأَحْمَدَ بنَ المَاسَرْجِسِيِّ، وَأَبَا قُرَيْشٍ مُحَمَّدَ بنَ جُمْعَةَ، وَأَحْمَدَ بنَ عُمَرَ المُحَمَّدَابَاذِي، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بنَ أَبِي حَاتِمٍ، وَسَمِعَ بِبَغْدَادَ من: إِبْرَاهِيْمَ بنِ عَبْدِ الصَّمدِ الهَاشِمِيِّ، وَابنِ الأَنْبَارِيِّ، وَالمَحَامِلِيِّ، وَكَانَ يمتنعُ عَنِ التَّحْدِيْثِ كَثِيْراً إِلَى سَنَةِ خَمْسٍ وَسِتِّيْنَ فَأَجَابَ إِلَى الإِمْلاَءِ، وَقَدْ سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّبْغِيَّ غَيْرَ مَرَّةٍ يعوِّذُ الأُسْتَاذَ أَبَا سَهْلٍ، وَيَقُوْلُ: بَارَكَ اللهُ فِيْكَ، لاَ أَصَابَكَ العَيْنَ.

وَقِيْلَ: سُئِلَ أَبُو الوَلِيْدِ حَسَّانُ الفَقِيْهُ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ القَفَّالِ، وَأَبِي سَهْلٍ الصُّعْلُوْكِيِّ، أَيُّهُمَا أَرجحُ، فَقَالَ: وَمَنْ يقدرُ أَنْ يَكُونَ مِثْلَ أَبِي سَهْلٍ.

وَقَالَ الفَقِيْهُ أَبُو بَكْرٍ الصَّيْرَفِيُّ: لَمْ يَرَ أَهْلُ خُرَاسَانَ مِثْلَ أَبِي سَهْلٍ.

قَالَ الصَّاحِبُ إِسْمَاعِيْلُ بنُ عَبَّادٍ: مَا رَأَينَا مِثْلَ أَبِي سَهْلٍ، وَلاَ رَأَى مِثْلَ نَفْسِهِ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللهِ الحَاكِمُ: أَبُو سَهْلٍ مُفْتِي البلدَةِ وَفَقِيْهُهَا، وَأَجدلُ مَنْ رَأَينَا مِنَ الشَّافِعِيَّةِ بِخُرَاسَانَ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ أَديبٌ، شَاعِرٌ، نَحْوِيٌّ، كَاتبٌ عَرُوضِيٌّ، صَحِبَ الفُقَرَاءَ. [سير أعلام النبلاء (١٦/ ٢٣٥)]

(٤٠) **عن عَبْدُ الرَّزَّاقِ، قَالَ**: «كُلُّ عِلْمٍ لَا يَدْخُلُ مَعَ صَاحِبِهِ الْحَمَّامَ فَلَا تَعُدَّهُ عِلْمًا» [الجامع لأخلاق الراوي (٢/ ٢٥٠ – رقم ١٧٥٦)]

وعن الْأَصْمَعِيِّ، قَالَ: «كُلُّ عِلْمٍ لَا يَدْخُلُ مَعِي الْحَمَّامَ فَلَيْسَ بِعِلْمٍ». [الجامع للخطيب رقم (١٧٥٧)]

يَحُثُّ عَلَى الْحِفْظِ.

وَقَالَ بَعْضُ الْفَلاسِفَةِ: "الْعِلْمُ مَا إِذَا غَرِقَتْ سَفِينَتُكَ يَسْبَحُ مَعَك".

يَقُول: الْعلم هُوَ مَحْفُوظ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو هِلالٍ الْعَسْكَرِي: وَالْحِفْظُ لَا يَكُونُ إِلا مَعَ شِدَّةِ الْعِنَايَةِ وَكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَطُولِ الْمُذَاكَرَةِ، وَالْمُذَاكَرَةُ حَيَاةُ الْعِلْمِ [٤١]، وَإِذَا لَمْ يَكُنْ دَرْسٌ لَمْ يَكُنْ حفظ، وَإِذا لم يكن مُذَاكَرَةٌ قَلَّتْ مَنْفَعَةُ الدَّرْسِ، وَمَنْ عَوَّلَ عَلَى الْكِتَابِ وَأَخَلَّ بِالدَّرْسِ وَالْمُذَاكَرَةِ ضَاعَتْ ثَمَرَةُ سَعْيِهِ وَاجْتِهَادِهِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ.

وَقَدْ أَحْسَنَ الْقَائِلُ:

---

(٤١) **قال أبو طاهر السلفي**: سَمِعت أَبَا مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي الطَّيِّبِ الْيُنَونشِيَّ الْمَعْرُوفَ بِالسَّائِحِ بِالْإِسْكَنْدَرِيَّةِ يَقُولُ: "حَيَاةُ النَّبَاتِ الْمَاءُ، وَحَيَاةُ الْقَلْبِ التَّفَكُّرُ، وَحَيَاةُ الْعِلْمِ الْمُذَاكَرَةُ" [معجم السفر (ص: ١٤٦ – رقم ٤٤٨) المكتبة التجارية - مكة المكرمة]

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: "إِحْيَاءُ الْحَدِيثِ مُذَاكَرَتُهُ، فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ شَدَّادٍ: كَمْ مِنْ حَدِيثٍ قَدْ أَحْيَيْته فِي صَدْرِي". [مصنف ابن أبي شيبة ت عوامة ط القبلة (١٣/ ٣٤٤ – رقم ٢٦٦٦٢)]

قال تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى المكي: أنشدنى جدى لأمى القاضى أبو الفضل النويرى إجازة، وأبو عبد الله محمد بن على البكرى بقراءتى عليه: أن الحافظ أبا الحجاج المزى أنشدهما لنفسه، سماعا لجدى وإجازة للبكرى:

مَنْ حازَ العِلمَ وذاكَرَهُ ... صَلَحَتْ دُنْيَاهُ وآخِرَتُهْ

فَأَدِمْ للعِلم مُذَاكَرَةً ... فَحَياةُ الْعِلْمِ مُذَاْكَرَتُهْ

[العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين (٢/ ٢٤)]

زَوَامِلُ [٤٢] لِلْأَشْعَارِ لَا عِلْمَ عِنْدَهُمْ ... بِجَيِّدِهَا إِلَّا كَعِلْمِ الْأَبَاعِرِ

لَعَمْرُكَ مَا يَدْرِي الْبَعِيرُ إِذَا غَدَا ... بِأَجْمَالِهِ أَوْ رَاحَ مَا فِي الْغَرَائِرِ

وَلَيْسَ عِلْمًا مَا وَعَى الْقِمَطْرُ [٤٣] ... مَا الْعِلْمُ إِلا مَا وَعَاهُ الصَّدْرُ[٤٤]

وَأَنْشَدَ النَّظَّامُ قَوْلَ مُحَمَّدِ بْنِ الْبَشِيرِ:

أَمَا لَوْ أَعِي كُلَّ مَا أَسْمَعُ ... وَأَحْفَظُ مِنْ ذَاكَ مَا أَجْمَعُ

وَلَمْ أَسْتَفِدْ غَيْرَ مَا قَدْ سَمِعْتُ ... لَقِيلَ هُوَ الْعَالِمُ الْمِصْقَعُ

---

(٤٢) "الزوامل" جمع "زاملة"، وهي الدابة التي تحمل المتاع

(٤٣) "القِمَطْر" وعاء أو صندوق توضع فيه الكتب والصحف

(٤٤) قال الخطيب: أَنْشَدَنِي الْقَاضِي أَبُو الْقَاسِمِ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ الْحُسَيْنِ الرَّحَبِيُّ قَالَ أَنْشَدَنِي أَبُو الْفَتْحِ هِبَةُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الْوَاحِدِ الْبَغْدَادِيُّ لِبَشَّارٍ:

عِلْمِي مَعِي أَيْنَمَا يَمَّمْتُ يَتْبَعُنِي ... بَطْنِي وِعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِي ... أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ"

[الجامع لأخلاق الراوي للخطيب (٢/ ٢٥٠ – رقم ١٧٥٩)]

قَالَ مُحَمَّدَ بْنَ خَالِدٍ الْقُرَشِيَّ، يَقُولُ: سَمِعْتُ يَمُوتَ بْنَ الْمُزَرِّعِ الْعَبْدِيَّ، يَقُولُ: «لَيْسَ الْعِلْمُ مَا حَوَاهُ الْقِمَطْرُ إِنَّمَا الْعِلْمُ مَا حَوَاهُ الصَّدْرُ» أَنْشَدَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ الصَّيْرَفِيُّ:

لَيْسَ بِعِلْمٍ مَا حَوَى الْقِمَطْرُ ... مَا الْعِلْمُ إِلَّا مَا حَوَاهُ الصَّدْرُ

فَذَاكَ فِيهِ شَرَفٌ وَفَخْرُ ... وَزِينَةٌ جَلِيلَةٌ وَقَدْرُ"

[الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥١ – رقم ١٧٦٠)]

وَقَالَ ابْنُ يَسِيرٍ الْأَزْدِيُّ:

أَأَشْهَدُ بِالْجَهْلِ فِي مَجْلِسٍ ... وَعِلْمِي فِي الْبَيْتِ مُسْتَوْدَعُ

إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا ... فَجَمْعُكَ لِلْكُتُبِ لَا يَنْفَعُ"

[الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥١ – رقم ١٧٦٢)]

وَلَكِنَّ نَفْسِي إِلَى كُلِّ شَيْءٍ ... مِنَ الْعِلْمِ تَسْمَعُهُ تَنْزَعُ

فَلا أَنَا أَحْفَظُ مَا قَدْ جَمَعْتُ ... وَلا أَنَا مِنْ جَمْعِهِ أَشْبَعُ

وَأَحْضُرُ بِالصَّمْتِ فِي مَجْلِسِي ... وَعِلْمِي فِي الْكُتُبِ مَسْتَوْدَعُ

وَمَنْ يَكُ فِي عِلْمِهِ هَكَذَا ... يَكُنْ دَهْرُهُ الْقَهْقَرَى يَرْجِعُ

إِذَا لَمْ تَكُنْ حَافِظًا وَاعِيًا ... فَجَمْعُكَ لِلْكُتُبِ لَا يَنْفَعُ (٤٥)

فَقَالَ النَّظَّامُ: كَلَّفَ ابْنُ بَشِيرٍ الْكُتُبَ مَا لَا تُكَلَّفُ، إِنَّ الْكُتُبَ لَا تُحْيِي الْمَوْتَى، وَلا تُحَوِّلُ الأَحْمَقَ عَاقِلا والبليد ذَكِيًّا، وَلَكِنَّ الطَّبِيعَةَ إِذَا كَانَ فِيهَا أَدْنَى قَبُولٍ فَالْكُتُبُ تَشْحَذُ وَتَفْتُقُ وَتَرْهُفُ.

وَكَانَ الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمد -رَحمَه الله- يَقُولُ: "الاحْتِفَاظُ بِمَا فِي صَدْرِكَ أَوْلَى مِنْ دَرْسِ مَا فِي كِتَابِكَ" (٤٦)

---

(٤٥) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع للخطيب البغدادي (٢/ ٢٥١ - رقم ١٧٦٣)

(٤٦) **أخرجه الخطيب من طريق الْأَصْمَعِيُّ، عَنِ الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، قَالَ**: «تَعَهُّدُ مَا فِي صَدْرِكَ أَوْلَى بِكَ مِنْ تَحَفُّظِ مَا فِي كُتُبِكَ» [الجامع لأخلاق الراوي للخطيب البغدادي (٢/ ١٤ – رقم ١٠٤١)]

وقال الخليل بن أحمد: "كن على مدارسة ما في قلبك أحرص منك على حفظ ما في كتبك" [الكامل في اللغة والأدب لابن المبرد (١/ ٢٤٠)]

وقال ابن أبي شيبة: حَدَّثَنَا وَكِيعٌ , قَالَ : حدَّثَنَا عِيسَى بْنُ الْمُسَيَّبِ ، قَالَ : سَمِعْتُ إِبْرَاهِيمَ يَقُولُ : "إِذَا سَمِعْت حَدِيثًا فَحَدِّثْ به حِينَ تَسْمَعُهُ وَلَوْ أَنْ تُحَدِّثَ بِهِ مَنْ لاَ يَشْتَهِيهِ ، فَإِنَّهُ يَكُونُ كَالْكِتَابِ فِي صَدْرِكَ" [مصنف ابن أبي شيبة ت عوامة ط القبلة (١٣/ ٣٤٤ – رقم ٢٦٦٦١)]

وَقَالَ: "اجْعَلْ مَا فِي كِتَابِكَ رَأْسَ الْمَالِ، وَمَا فِي صَدْرِكَ لِلنَّفَقَةِ" (٤٧)

وَقَالَ التَّوَّزِيُّ (٤٨): "سَمِعْتُ أَبَا عُبَيْدَةَ (٤٩) يَقُولُ: اخْتَلَفْتُ إِلَى يُونُسَ أَرْبَعِينَ سَنَةً كُلَّ يَوْم، أملأ ألواحي من حفظه وأنصرف" (٥٠)

وَقَالَ الزُّهْرِيُّ: "إِنَّ الرَّجُلَ لَيَطْلُبُ وَقَلْبُهُ شِعْبٌ مِنَ الشِّعَابِ، ثُمَّ لَا يَلْبَثُ أَنْ يَصِيرَ وَاديا، وَلَا يُوضَعُ فِيهِ شَيْءٌ إِلا الْتَهَمَهُ".

قَالَ أَبُو هِلالٍ الْعَسْكَرِي: "يُرِيدُ أَنَّ أَوَّلَ الْحِفْظِ شَدِيدٌ، يَشُقُّ عَلَى الإِنْسَانِ، ثُمَّ إِذَا اعْتَادَ سَهُلَ "،

وَمِصْدَاقُ ذَلِكَ مَا أَخْبَرَنَا بِهِ الشَّيْخُ أَبُو أَحْمَدَ عَنِ الصُّولِيِّ عَنِ الْحَارِثِ بْنِ أُسَامَةَ قَالَ: كَانَ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ: "كُلُّ وِعَاءٍ أَفْرَغْتَ فِيهِ شَيْئًا فَإِنَّهُ يَضِيقُ، إِلا الْقَلْبَ، فَإِنَّهُ كُلَّمَا أُفْرِغَ فِيهِ اتَّسَعَ" (٥١)

---

(٤٧) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر(١/ ٣٢٦ - رقم ٤٢٦) دار ابن الجوزي، السعودية]

(٤٨) عبد الله بن محمد، أبو محمد التَّوَّزيُّ البَصْريُّ، [الوفاة: ٢٥١ - ٢٦٠ ه]

(٤٩) معمر بن المثنى ، أبو عبيدة التيمى مولاهم ، البصرى ، النحوى اللغوى،

(٥٠) معجم الأدباء - العلمية (٥/ ٦٥١)

(٥١) أخرجه الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (ج٤/ص ٤٧٧ – رقم ١٦٩٦) قال: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ، نَا يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللهِ، نَا الزِّيَادِيُّ، عَنْ يُونُسَ بْنِ حَبِيبٍ؛ قَالَ: قَالَ بَعْضُ حُكَمَاءِ الْعَرَبِ: كُلُّ إِنَاءٍ يُفَرَّغُ فِيهِ يَضِيقُ وَيَمْتَلِئُ إِلا الْقَلْبَ؛ فَإِنَّهُ كُلَّمَا أُفْرِغَ فِيهِ اتَّسَعَ، وَهَذَا مِنْ أَدَلِّ الدَّلائِلِ عَلَى اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ.

وقَالَ أَبُو السَّمْحِ الطَّائِيُّ: "كُنْتُ أَسْمَعُ عُمُومَتِي فِي الْمَجْلِسِ يُنْشِدُونَ الشِّعْرَ، فَإِذَا اسْتَعَدْتُهُمْ زَجَرُونِي وَسَبُّونِي، وَقَالُوا: تَسْمَعُ شَيْئًا وَلا تَحْفَظُهُ".

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: "مَا وَضَعْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ قَطُّ، وَلا حَدَّثَنِي أَحَدٌ بِحَدِيثٍ فَاحْتَجت إِلَى أَن يُعِيدهُ عَليّ" (٥٢) (٥٣)

---

(٥٢) **إسناده صحيح، أخرجه زهير بن حرب في "كتاب العلم"** (٢٨) قال: حَدَّثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ، وَلَا سَمِعْتُ مِنْ رَجُلٍ حَدِيثًا فَأَرَدْتُ أَنْ يُعِيدَهُ عَلَيَّ»

وأخرجه ابن أبي الدنيا في "الإشراف في منازل الأشراف" (ص: ٢٧٤ رقم ٣٦٢) قال: حَدَّثَنِي إِسْمَاعِيلُ بْنُ حَفْصٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، فذكره.

وأخرجه الرامهرمزي في "المحدث الفاصل بين الراوي والواعي" (ص: ٣٨٠) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ مَعْدَانَ، ثَنَا أَبُو حُمَيْدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ، ثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى بْنِ الطَّبَّاعِ، ثَنَا ابْنُ فُضَيْلٍ، فذكره.

وأخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١/ ٢٨٩ – رقم ٣٦٩) **قال:** أَخْبَرَنَا عَبْدُ الْوَارِثِ، نا قَاسِمٌ، نا أَحْمَدُ بْنُ زُهَيْرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ، وَالْأَخْنَسِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ عِمْرَانَ قَالُوا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، فذكره.

وأخرجه أبو نعيم في "حلية الأولياء" (٤/ ٣٢١) **قال:** حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ مَالِكٍ، ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ أَحْمَدَ، حَدَّثَنِي أَبِي، ثنا ابْنُ فُضَيْلٍ، فذكره.

وأخرجه الخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي" (٢/ ٢٥٣ – رقم ١٧٦٨) **قال:** أنا ابْنُ رِزْقٍ، أنا إِسْمَاعِيلُ بْنُ عَلِيٍّ، وَأَبُو عَلِيِّ بْنُ الصَّوَّافِ وأنا الْحَسَنُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، أنا جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَكَمِ الْمُؤَدِّبُ، وأنا مُحَمَّدُ بْنُ الْفَرَجِ الْبَزَّازُ، أنا أَحْمَدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ حَمْدَانَ، قَالُوا: نا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ، نا أَبِي، نا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، فذكره.

وأخرجه الدارمي في سننه (٤٩٩) **بسند صحيح،** قال: أَخْبَرَنَا مَالِكُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ ابْنِ شُبْرُمَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ، يَقُولُ: «مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ، وَلَا اسْتَعَدْتُ حَدِيثًا مِنْ إِنْسَانٍ»

وأخرجه ابن عبد البر في "جامع بيان العلم وفضله" (١/ ٢٨٨ – رقم ٣٦٨) قال: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ، نا عُمَرُ، نا عَلِيٌّ، نا أَبُو غَسَّانَ، نا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنْ ابْنِ شُبْرُمَةَ قَالَ: سَمِعْتُ الشَّعْبِيَّ يَقُولُ: «مَا كَتَبْتُ سَوْدَاءَ فِي بَيْضَاءَ قَطُّ وَلَا اسْتَعَدْتُ حَدِيثًا مِنْ إِنْسَانٍ مَرَّتَيْنِ»

وَيَنْبَغِي لِلدَّارِسِ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ فِي دَرْسِهِ حَتَّى يُسْمِعَ نَفْسَهُ، فَإِنَّ مَا سَمِعَتْهُ الأُذُنُ رَسَخَ فِي الْقَلْبِ، وَلِهَذَا كَانَ الإِنْسَانُ أَوْعَى لِمَا يَسْمَعُهُ مِنْهُ لِمَا يَقْرَأُهُ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الذَّكَاءَ وَجَوْدَةَ الْقَرِيحَةِ وَثُقُوبَ الذِّهْنِ جَوَاهِرُ نَفِيسَةٌ، فَإِذَا طَلَبَ صَاحِبُهَا الْعِلْمَ، فَبَلَغَ فِيهِ مَبْلَغًا، فَقَدْ حَفِظَ جَمَالَهَا عَلَى نَفْسِهِ، وَأَحْرَزَ مَنْفَعَتَهَا لَهَا.

وَمَنْ تَرَكَ الطَّلَبَ حَتَّى كَلَّ ذِهْنُهُ، وَعَمِيَتْ فِطْنَتُهُ، وَتَبَلَّدَتْ قَرِيحَتُهُ مَعَ إِدْبَارِ عمره، كَانَ كَمَنْ عَمَدَ إِلَى مَا عِنْدَهُ مِنَ الْيَاقُوتِ وَالدُّرِّ فَرَضَّهُ، وَأَبْطَلَ الْجَمَالَ وَالنَّفْعَ بِهِ.

وَإِذَا كَانَ مَا جَمَعْتَهُ مِنَ الْعِلْمِ قَلِيلا وَكَانَ حِفظًا، كَثُرَتِ الْمَنْفَعَةُ بِهِ، وَإِذَا كَانَ كثيرا غير مَحْفُوظ، قلت منفعته.

---

(٥٣) **رُوِيَ عَنِ الإِمَامِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ**: حَدَّثَنِي ابْنُ شِهَابٍ بِأَرْبَعِينَ حَدِيثًا وَنَيِّفٍ - مِنْهَا حَدِيثُ السَّقِيفَةِ - فَحَفِظْتُ، ثُمَّ قُلْتُ: أَعِدْهَا عَلَيَّ فَإِنِّي أَنْسِيتُ النَّيِّفَ عَلَى الأَرْبَعِينَ، فَأَبَى، فَقُلْتُ: أَمَا كُنْتَ تُحِبُّ أَنْ يُعَادَ عَلَيْكَ؟ قَالَ: بَلَى. فَأَعَادَ، فَإِذَا هُوَ كَمَا حَفِظْتُ.

وَفِي رِوَايَةٍ أَنَّ ابْنَ شِهَابٍ قَالَ لَهُ: «مَا اسْتَفْهَمْتُ عَالِمًا قَطُّ ثُمَّ اسْتَرْجَعَ». وَقَالَ: «سَاءَ حِفْظُ النَّاسِ، لَقَدْ كُنْتُ آتِي سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيَّبِ، وَعُرْوَةَ، وَالْقَاسِمَ، وَأَبَا سَلَمَةَ، وَحُمَيْدًا، وَسَالِمًا، وَعَدَّ جَمَاعَةً، فَأَدُورُ عَلَيْهِمْ، أَسْمَعُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْخَمْسِينَ حَدِيثًا إِلَى الْمِائَةِ، ثُمَّ أَنْصَرِفُ وَقَدْ حَفِظْتُهُ كُلَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَخْلِطَ حَدِيثَ هَذَا بِحَدِيثِ هَذَا».

وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى: «لَقَدْ ذَهَبَ حِفْظُ النَّاسِ، مَا اسْتَوْدَعْتُ قَلْبِي شَيْئًا قَطُّ فَنَسِيتُهُ».

[الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (١/ ١٠٠)]

وَقَالَ الْمَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ لِلْمَأْمُونِ: "أَيَحْسُنُ بِمِثْلِي أَنْ يَتَعَلَّمَ فَقَالَ: وَاللَّهِ لأَنْ تَمُوتَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمُوتَ قَانِعًا بِالْجَهْلِ". (٥٤)

وَحُكِيَ عَنْ ثَعْلَبٍ أَنَّهُ كَانَ لَا يُفَارِقُهُ كِتَابٌ يَدْرُسُهُ، فَإِذَا دَعَاهُ رَجُلٌ إِلَى دَعْوَةٍ شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يُوَسِّعَ لَهُ مِقْدَارَ مَسُورَةٍ، يضع فِيهَا كتابا وَيقْرَأ. (٥٥)

---

(٥٤) ذكره ابن عساكر في "تاريخ دمشق" (٦٠/ ٣٥٠) بسنده إلى: الزبير بن بكار قال: "دَخَلَ يَوْمًا مِنَ الأَيَّامِ مَنْصُورُ بْنُ الْمَهْدِيِّ عَلَى الْمَأْمُونِ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ يَتَكَلَّمُونَ فِي الْفِقْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا عِنْدَكَ فِيمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، أَغْفَلُونَا فِي الْحَدَاثَةِ، وَشَغَلَنَا الطَّلَبُ عِنْدَ الْكِبَرِ مِنِ اكْتِسَابِ الْأَدَبِ. قَالَ: لِمَ لَا تَطْلُبُهُ الْيَوْمَ وَأَنْتَ فِي كِفَايَةٍ؟ قَالَ: أَوَيَحْسُنُ بِمِثْلِي طَلَبُ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ لَهُ الْمَأْمُونُ: وَاللَّهِ، لَأَنْ تَمُوتَ طَالِبًا لِلْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَعِيشَ قَانِعًا بِالْجَهْلِ. قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَإِلَى مَتَى يَحْسُنُ؟ قَالَ: مَا حَسُنَتْ بِكَ الْحَيَاةُ. وَزَادَ الْمَوْصِلِيُّ: يَا مَنْصُورُ، اتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ، وَلَا تَرْضَ بِهَذَا، فَإِنَّهُ يُقَصِّرُ بِكَ فِي الْمَجَالِسِ، وَيُصَغِّرُكَ فِي أَعْيُنِ مَنْ يَرَاكَ، وَيُزْرِي بِكَ.

(٥٥) وكان كثير من مشاهير العلماء لا يمشي إلا وفي يده كتب أو أجزاء يُطالعها، وذلك لمزيد شغفهم بالقراءة والاطلاع، وعظيم حرصهم على أوقاتهم من الضياع.

• قال الذهبي في "السير": " قال ابنُ الآبنوسي: كان الحافظ الخطيب يمشي وفي يده جُزْءٌ يُطالعه ".

• وفي "تذكرة الحفاظ" للذهبي في ترجمة أبي داود السجستاني صاحب "السنن": " قال ابنُ دَاسَة: كان لأبي داود كُمٌّ واسع وكمٌّ ضيّق، فقيل له في ذلك؟ فقال: الواسع للكتب، والآخر لا يُحتاج إليه ".

• وفي ترجمة العلامة النحوي أحمد بن يحيى المعروف بثَعْلَب ت (٢٩١) من كتاب "وفيات الأعيان" لابن خَلِّكان قال: " كان سببَ وفاته: أنه خرج من الجامع يوم الجمعة بعد العصر، وكان قد لحقه صَمَمٌ لا يسمع إلا بعد تعب، وكان في يده كتاب ينظر فيه في الطريق، فصدمَتْه فرسٌ، فألقَتْهُ في هُوَّةٍ، فأُخرج منها وهو كالمختلط، فحُمِل إلى منزله على تلك الحال وهو يتأوَّه مِن رأسه، فمات ثاني يومٍ "

وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ الْخَيَّاطُ النَّحْوِيُّ [٥٦] يَدْرُسُ جَمِيعَ أَوْقَاتِهِ، حَتَّى فِي الطَّرِيقِ، وَكَانَ رُبَّمَا سَقَطَ فِي جَرْفٍ أَوْ خَبَطَتْهُ دَابَّةٌ. [٥٧]

وَكَانَ ابْنُ الْفُرَاتِ "لَا يَتْرُكُ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا أَصْبَحَ أَنْ يَحْفَظَ شَيْئًا وَإِنْ قَلَّ".

وَقَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْكَرْخِيُّ: "كُنْتُ أَحْضُرُ مَجْلِسَ أَبِي حَازِمٍ يَوْمَ الْجُمُعَةِ بِالْغَدَاةِ، من غير أَن يكون درس، لِئَلَّا أنفض عادتي من الْحُضُورِ".

وَذُكِرَ عَنْ أَبِي حَاتِمٍ أَنَّهُ قَالَ: "ضَاقَتْ بِي الْحَالُ أَيَّامَ طَلَبِي الْعِلْمَ، فعجزت عَن شِرَاء البرز، فَكُنْتُ أَخْرُجُ بِاللَّيْلِ إِلَى الدَّرْبِ الَّذِي أَنْزِلُهُ، وأرتفق بسراج الحارس، وَكَانَ رُبمَا ينَام الحارس، فَكنت أنوب عَنهُ".

---

(٥٦) محمد بن أحمد بن منصور أبو بكر بن الخياط المتوفي سنة ٣٢٠ رحمه الله تعالى

(٥٧) ذكر الخطيب البغدادي في "تقييد العلم" (ص: ١٣٩) عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدِ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحْرَصَ عَلَى الْعِلْمِ مِنْ ثَلَاثَةٍ: الْجَاحِظِ وَالْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ إِسْحَاقَ الْقَاضِي، فَأَمَّا الْجَاحِظُ فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا وَقَعَ فِي يَدِهِ كِتَابٌ قَرَأَهُ مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ , أَيَّ كِتَابٍ كَانَ، وَأَمَّا الْفَتْحُ فَكَانَ يَحْمِلُ الْكِتَابَ فِي خُفِّهِ , فَإِذَا قَامَ مِنْ بَيْنِ يَدَيِ الْمُتَوَكِّلِ لِيَبُولَ أَوْ لِيُصَلِّيَ أَخْرَجَ الْكِتَابَ , فَنَظَرَ فِيهِ وَهُوَ يَمْشِي، حَتَّى يَبْلُغَ الْمَوْضِعَ الَّذِي يُرِيدُ ثُمَّ يَصْنَعُ مِثْلَ ذَلِكَ فِي رُجُوعِهِ إِلَى أَنْ يَأْخُذَ مَجْلِسَهُ، وَأَمَّا إِسْمَاعِيلُ بْنُ إِسْحَاقَ فَإِنِّي مَا دَخَلْتُ عَلَيْهِ قَطُّ إِلَّا وَفِي يَدِهِ كِتَابٌ يَنْظُرُ فِيهِ , أَوْ يُقَلِّبُ الْكُتُبَ لِطَلَبِ كِتَابٍ يَنْظُرُ فِيهِ

هَذَا - وَأَبِيكَ - الْحِرْصُ وَالاجْتِهَادُ، لَا جَرَمَ أَنَّهُ صَارَ أَحَدَ أَعْيَانِ الدُّنْيَا الْمُشَارَ إِلَيْهِ فِي الْعِلْمِ وَالْفضل والبراعة والجاه العريض الْبَاقِي عَلَى أَعْقَابِ اللَّيَالِي وَالأَيَّامِ، وَمَنْ طَلَبَ وَجَدَ، إِلا مَا قَلَّ وَشَذَّ.

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو هِلالٍ: وَعِنْدَ الْحُكَمَاءِ أَنَّ مَنْ تَبَرَّمَ بِالْعِلْمِ وَالْعُلَمَاءِ، وَمَنْ يَقْدِرُ عَلَى حِفْظِ الْعِلْمِ وَالأَدَبِ وَهُوَ مُقَصِّرٌ فِيهِ فَلَيْسَ بِإِنْسَانٍ كَامِلٍ، وَالْكَامِلُ مِنَ النَّاسِ مَنْ عَرَفَ فَضْلَ الْعِلْمِ، ثُمَّ إِنْ قَدَرَ عَلَيْهِ طَلَبَهُ.

وَمِنْ فَضْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُحِبُّ أَنَّ لَهُ بِحَظِّهِ مِنْهُ خطرا.

وَقَالَ ابْن عَبَّاس ﷺ: وَجَدْتُ عَامَّةَ عِلْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ هَذَا الْحَيِّ مِنَ الأَنْصَارِ، إِن كنت لأقيل بِبَابِ أَحَدِهِمْ، وَلَوْ شِئْتُ لَأُذِنَ لِي، وَلَكِنْ ابْتغِي بذلك طيب نَفسه.

وَقَالَ الْحسن - رَحمَه الله -: مَنْ تَرَكَ طَلَبَ الْعِلْمِ حَيَاءً، أَلْبَسَهُ الْجَهْلُ سِرْبَالَهُ، وَمَنْ رَقَّ وَجْهُهُ رَقَّ عِلْمُهُ.

وَقَالَ الْخَلِيل - رَحمَه الله -: "منزلَة الْجَهْل بَين الْحيَاء والأنفة".

قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ: "وَجَعَلَ الْحُكَمَاءُ مَنْزِلَةَ الْعُلَمَاءِ مِثْلَ مَنْزِلَةِ الْمُلُوكِ".

فَقَالُوا: مِنْ أَدَبِ الدَّاخِلِ على العلام أَنْ يُسَلِّمَ عَلَى أَصْحَابِهِ عَامَّةً، وَيَخُصَّهُ بِالتَّحِيَّةِ، وَيَجْلِسَ قُدَّامِهِ، وَلا يُشِيرَ بِيَدِهِ، وَلا يَغْمِزَ بِعَيْنِهِ، وَلا يَقُولَ بِخِلافِ قَوْلِهِ، وَلا يَغْتَابَ عِنْدَهُ أحدا، وَلا يسار فِي مَجْلِسِهِ، وَلا يُلِحَّ عَلَيْهِ إِذَا كَسِلَ، وَلا يَعْرِضَ عَنْ كَلامِهِ، فَإِنَّهُ بِمَنْزِلَةِ النَّخْلَةِ، لَا يَزَالُ يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ ينَفْعُكَ.

وَقِيلَ لِبَعْضِ الْحُكَمَاءِ: "لِمَ لَا تُعَاتِبُونَ الْجُهَّال؟ قَالَ: "لأَنا لَا نؤمل من العميان أَنْ يُبْصِرُوا".

قَالَ أَبُو هِلَالٍ الْعَسْكَرِيُّ: وَلا يَظْهَرُ فَضْلُ الْعِلْمِ لمن لَا عقل لَهُ، كَمَا لَا تبين الشَّمْسُ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ،

وَرَأَى مُعَلِّم "مُحَمَّد بن دَاوُد ابْن الْجَرَّاحِ" عَلَى دَفْتَرٍ لَهُ دَمًا فَسَأَلَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: إِنِّي كنت عَلَى السِّرَاجِ أَدْرُسُ فِي اللَّيَالِي الْحَارَّةِ فَأَرْعُفُ، فَقَالَ لَهُ: إِنَّمَا تَطْلُبُ الْعِلْمَ لِنَفْسِكَ، فَإِذَا أتفلت نَفْسَكَ فَمَا يَنْفَعُكَ عِلْمُكَ، وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بن عبد الْعَزِيز: إِنَّ نَفْسِي مَطِيَّتِي فَإِذَا حَمَلْتُ عَلَيْهَا خَسِرْتُهَا، فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدٌ: قَالَ بَعْضُ الأَوَائِلِ: إِنْ لَمْ تَصْبِرْ عَلَى تَعَبِ الْعِلْمِ صَبَرْتَ عَلَى شِفَاءِ الْجَهْلِ، فَقَالَ: الْعلم، صَدَقَ هَذَا الْقَائِلُ، وَلَكِنْ تَجَاوُزُ الاعْتِدَالِ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ رُبَّمَا أَدَّى إِلَى تَضْيِيعِهِ.

وَلَو أَن الْجَاهِل بَين نقيصة الْجَهْل من نَفسه لفزع إِلَى الجد فِي التَّعَلُّم وَلَكِنَّهُ كَآكِلِ الثُّومِ، لَا يَشُمُّ من نَفسه مِنْهُ، وَإِنَّمَا يَشُمُّهُ غَيْرُهُ وَيَتَأَذَّى بِهِ سِوَاهُ، وَالْفَضِيحَةُ بِالْجَهْلِ عَظِيمَةٌ، وَالْغَبْنُ بِهِ كَثِيرٌ لَوْ عَرَفَهُ الْجَاهُلُ، وَلا يَرْضَى بِالْجَهْلِ إِلا مَنْ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفسه، فَلَا يُبَالِي أَن يهجى ويستخف بِهِ وَيُسْخَرَ مِنْهُ.

أعلانا الله ﷻ وَإِيَّاك مِنَ الْجَهْلِ وَالرِّضَى بِهِ، وَتَقْرِيبِ أَهْلِهِ وَاسْتِحْسَانِ حَالهم مِنْهُ، وَنَفَعَنَا بِمَا عَلِمْنَا وَجَعَلَهُ حُجَّةً لَنَا لَا علينا. (٥٨)

(٥٨) قلت علاء بن عبد الرحمن أمين: انتهيت من اختصار هذا الكتاب المبارك في الساعة الثالثة قبيل فجر أول أيام عيد الأضحى المبارك لسنة ١٤٤٧ من الهجرة المباركة.
والحمد لله أولا وأخيرا.